أبناؤنا

سلسلة سفير التربوية

٧

أبناؤنا و لغة الكوتشي و الكاتشاب

د/محمد طه حنفي



طحن

باي باي

روش

هاللو

أوك

سفير

2007
SIDA grant
Sweden

أبناؤنا

سلسلة سفير التربوية

(١٠)

أبناؤنا ولغة الكوتشى والكتشاب

تأليف

د. محمد طه حنفى

كلية التربية – جامعة عين شمس

مدرس التربية المقارنة والإدارة التعليمية

رسوم

شريف زهير

رقم الإيداع ٤٤ / ٩٣

الترقيم الدولى ISBN : 977 - 261 - 204 - 6

تقديم

اللغة وعاء الفكر ، وهى التى تشكل هوية الفرد والمجتمع، ومن ثَمَّ يصبح لكل مجتمع هويته المستقلة وثقافته المتفرِّدة، انطلاقًا من لغته التى يتحدثها، والتى تختلف بطبيعة الحال عن اللغات التى تتحدثها المجتمعات الأخرى.

وانطلاقًا من أننا نعيش فى مجتمع عربى إسلامى، فإن اللغة التى ينبغى أن نتحدثها ونربى أبناءنا على التحدث بها هى اللغة العربية لكى نرى فيهم الهوية العربية الإسلامية ، ولكى نحفظ لمجتمعنا لغته العربية وثقافته الإسلامية، باعتبار أن الأبناء هم الامتداد الطبيعى للآباء، وأن لهم مكانة عزيزة وغالية فى قلوب آبائهم ، حيث قال الشاعر العربى القديم :

وإنَّمَا أولادُنا بيننا أكبادُنا تمشى على الأرض

لو هَبَّتِ الرِّيحُ على بعضهمْ لامتنعتْ عينى مِنَ الغمْضِ

ولا تقع مسئوليةُ تنشئة الأبناء اللغوية على الأسرة فقط، ولكنها تقع أيضًا على المدرسة، وعلى وسائل الإعلام، وعلى الشارع حيث إن عمليةَ التنشئة هذه تُعد مسئوليةً جسيمة، لايمكن لقوة واحدة من تلك القوى القيامُ بها، بل إنها تحتاج إلى تكاتفها جميعًا.

وفى هذا الكتاب سوف تجد عزيزى القارئ عرضًا لبعض الجوانب

السلبية التى يتعرض لها أبناؤنا من خلال الأسرة والشارع والتليفزيون والمدرسة، والتى تتعلق باللغة التى يتم تربية الأبناء من خلالها حيث يعرض الفصل الأول بعض السلبيات التى قد تصدر عن الأسرة من خلال ما تطلقه على أبنائها من أسماء لايعرف منها إن كان المولود ذكراً أم أنثى، أو من خلال تسميتهم بأسماء أجنبية، ويعرض الفصل الثانى لغة الشارع، وما قد يشوبها من كلماتٍ تخدش الحياء، وما يوجد به من جماعات تفسد الأخلاق والأذواق، وذلك فى ظل غياب كثيرمن الآباء وانشغال كثير من الأمهات، ويعرض الفصل الثالث التليفزيون وبعض جوانب القصور المتعلقة بدوره فى تربية الأبناء وتعليمهم لغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية، وذلك من خلال لغته وإعلاناته التى صبغت كثيراً من جوانب حياتنا بصبغة أجنبية، ويعرض الفصل الرابع المدرسة وما يسودها من لغة تعامل، وكيف أصبح أبناؤنا ينادون معلميهم بأسماء (مسْ ومستر ، وفراو وهِرّ) ، أما الفصل الخامس والأخير فإنه يعرض ما ينبغى أن تكون عليه لغة الأغانى والمسلسلات والقصص، وذلك بعد تقديم الواقع الحالى لها، وكيف أننا أصبحنا نفتقد القدوة اللغوية السليمة .

وقد حَرَص الكاتبُ فى كل فصل من فصول الكتاب على عرض المشكلة والسلبيات، ثم تقديم بعض الأساليب التى قد تساعد الآباء والأمهات على تربية أبنائهم من خلال لغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية، مستعيناً فى ذلك ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

الشـريفـة، وتراثنا الثـقـافى الأصـيل، باعـتـبـارها تمثل حلولاً لـكل المشكلات والسلبيات التى أشرنا إليها من قبل .

وعـمـومًا فإن هـذا الكتـاب جـهـد متـواضع، قـد يجـد فيـه الآباء والأمهات ما يعينهم على تنشئة أبنائهم من خلال لغتهم العربية لكي يتم ربطهم بثقافتهم الإسلامية .

﴿ إن أريد إلا الإصـلاح مـا اسـتطعت ومـا توفـيـقى إلا بـالله عليـه توكلت وإليه أنيب ﴾ [هود :٨٨].

هذا وبالله التوفيق .

د. محمد طه حنفى .



الفصل الأول

لغة البيت

ما إن تنطلق صرخة الوليد معلنة قدومه إلى الحياة، حتى تعم المنزل فرحة كبيرة، وخاصة إذا كان هذا الوليد هو المولود الأول فى الأسرة أو كان ذكراً وتتمثل فرحة الأسرة فى التفافها حول الطفل الصغير لتحميه من كل مكروه وشر.

وتجدر الإشارة إلى أن حماية الطفل لا تبدأ فقط منذ بداية مولده، بل إنها تبدأ منذ بداية زواج والديه؛ إذ إنه على الأب أن ينطلق لسانه عند كل مرة يلتقى فيها مع زوجته لقاءً شرعيا بالدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ : «اللهم جنِّبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا» [رواه البخارى ومسلم] وذلك لكى يضمن حماية ابنه من غواية الشيطان الرجيم، وفى ذلك حماية لجسم الابن ونفسه وروحه طوال حياته، بحيث يصبح لبنةً صالحة يشكلها الوالدان ويربيانها تربية إسلامية صحيحة، ومن ثَمَّ فإنهما يساهمان فى بناء مجتمع إسلامى على دعائم قوية راسخة .

وحينما تأتى لحظة الميلاد ويخرج الجنين إلى الوجود، يكون على الأب مسئولية كبيرة ومهمة فى التعامل مع هذا المخلوق الصغير فى اللحظات الأولى من خروجه من ظلمات رحم أمه إلى هذا العالم

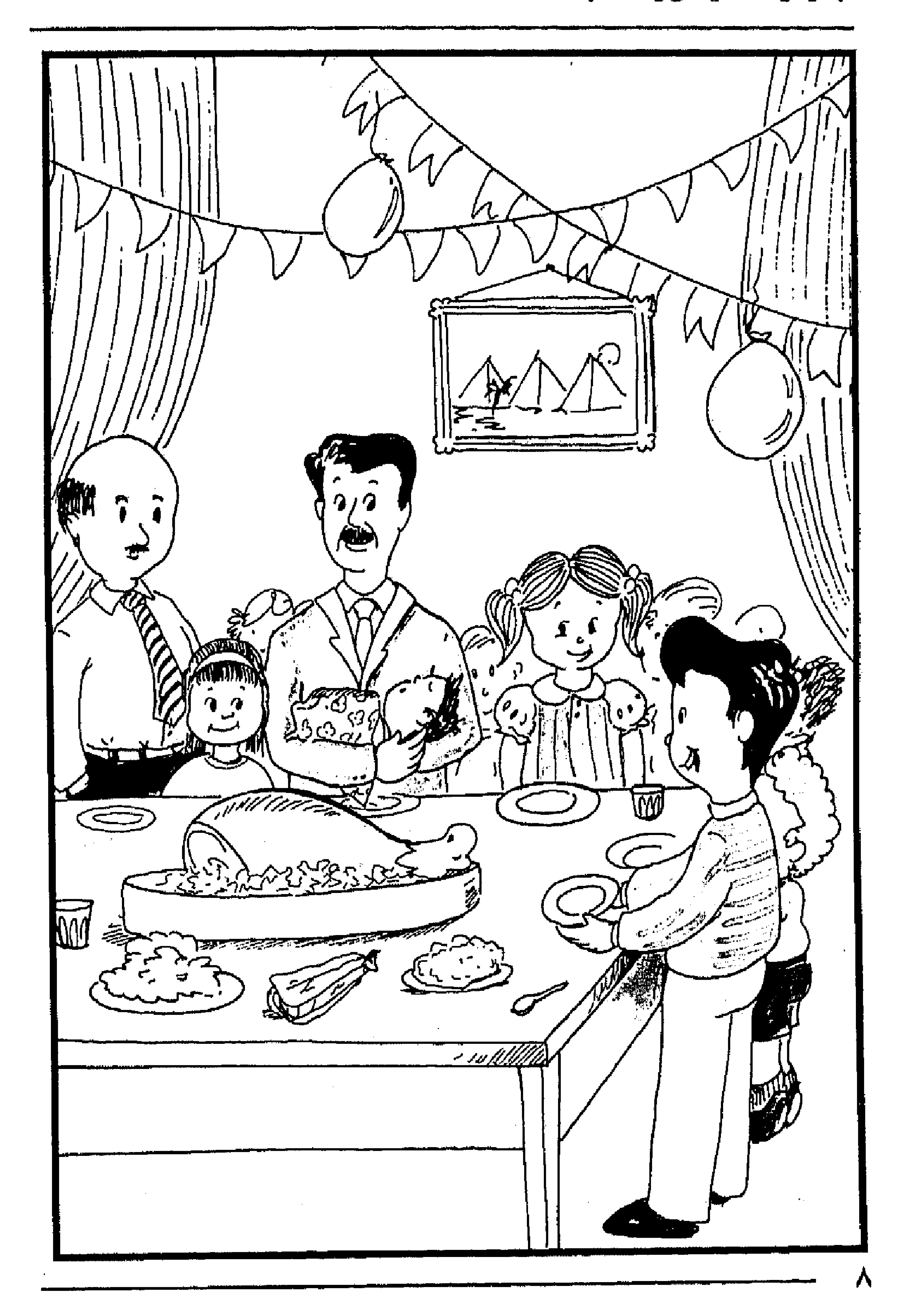
الرحب الصاخب، فتكون الكلمات التي يجب أن تعطر مسامع الطفل الصغير – وهذا ما يقوم به بعض الآباء فعلاً – أن يقوم الأب بالأذان في أذن الطفل اليمنى، ثم يقيم للصلاة في أذنه اليسرى وذلك حتى تكون أولى الكلمات التي يسمعها الطفل الوليد هي كلمات الإيمان والإسلام المتفقة مع الفطرة السليمة التي يُولَد عليها الطفل، تلك الفطرة التي يقررها رسول الله ﷺ في قوله: «كل مولود يولد على الفطرة» [رواه البخارى].

وينص عليها قول ربنا عز وجل: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠].

تلك هي البداية اللغوية الصحيحة التي يجب على الوالدين أن يتعاملا بها مع مولودهما الصغير، تلك البداية التي تضمن لهذا الابن الأمن والحماية من غواية الشيطان، ومن ثَمَّ يحيا حياة طيبة هنيئة.

العقيقة بدلاً من (حلقاتك برجالاتك):

وتمضي الأيام مسرعةً بالطفل الوليد، حتى يأتي اليوم السابع، وإذا بالبيت وقد عَمَّه نشاطٌ كبير منذ الصباح الباكر، استعداداً لهذه المناسبة السعيدة. وتتفاوت طقوس الاحتفال بتلك المناسبة تبعًا لاختلاف المستوى الاجتماعي للأسرة التي وُلِدَ فيها المولود الجديد؛ فالأُسَر التي تعيش في المناطق الشعبية تهتم بإحضار الإبريق وأنواع الشمع، وتقوم برش الملح؛ منعًا للحسد، ويعقب ذلك التغني بالأغاني



المتوارثة مثل: « حلقاتك برجالاتك، حلقة ذهب فى وداناتك .. إلخ ».

أما فى المستويات الاقتصادية المرتفعة التى تسكن الأحياء الراقية، فإن الأمر يختلف اختلافًا كبيرًا، حيث يتم الاستعداد لتلك المناسبة بكميات كبيرة من المأكولات والمشروبات التى تحمل فى معظمها أسماء أجنبية تحتاج إلى ترجمة لكى يمكن تناولها وهضمها، ثم تتم عملية إطفاء الشموع وإطلاق الأغانى الأجنبية،ومنها على سبيل المثال لا الحصر: (Happy Birth day to you) وهكذا تنصرف تلك المناسبة إلى أمور هى بعيدة كل البعد عن لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية .

وللأسف ينسى كثير منا أو يتناسَوْن أن هناك قدوة حسنة يجبُ علينا أن نجعل منها معياراً لكل أمور حياتنا، ونعنى بالقدوة الحسنة هنا رسول الله ﷺ حيث إنه حدد لنا ما يجب علينا أن نقوم به فى مثل تلك المناسبات السعيدة، بدلاً من إطلاق تلك الأغنيات التى هى غريبة عنا وعن لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية، والتى هى فى الغالب خليط من الكلمات الفرعونية واليونانية والتركية القديمة، فبدلاً من القيام بتلك الطقوس الغريبة يوصينا ديننا الحنيف بعمل عقيقة، والعقيقة فى الأصل مشتقة من العَقّ، أى: الذبح، حيث يقوم والد الطفل بذبح شاة أو شاتين، ثم يعد وليمة يدعو إليها الأقارب والأصدقاء وبعض الفقراء والمحتاجين، والهدف من هذه العقيقة: أن ينشأ الطفل فى ظل مناخ سليم تشتق مفرداته من لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية، بحيث ينشأ الطفل مستخدمًا لتلك المفردات والكلمات فى حياته؛ مما يساعد على

ربطه ببيئته العربية الإسلامية، بدلاً من أن ينشأ وقد اكتسب أسماء وألفاظًا تعمل على خلع جذوره من تربة ثقافته العربية الإسلامية .

الأسماء المشتركة :

مرة أخرى تأتى عملية التعامل اللغوى بين الآباء والأمهات والطفل الوليد، وذلك من خلال عملية اختيار اسم نناديه به ويكون له بعضُ الأثر فى شخصيته فى المستقبل، فالملاحظ أنه ما إن تمر عدة دقائق على ولادة الطفل– وربما قبل أن يولد – حتى تبدأ المناقشات حول اختيار الاسم الذى يجب أن يطلق على المولود ذكرًا كان أو أنثى، ويبدأ الجدل من خلال إصرار كل طرف من الوالدين – والمحيطين أحيانًا – على اختيار اسم يمثل شجرة العائلة، فالأم تريد تسمية ابنتها باسم والدتها، أو أن تسمى ابنها على اسم والدها، وكذلك يصر الوالد على ذلك، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه من الملاحظ أن الأسماء التى يطلقها بعض الآباء على أبنائهم أصبحت تتسم – فى معظمها – بما يمكن أن يُطلَق عليه «الأسماء المشتركة» بمعنى أن المرء لايستطيع أن يقف على حقيقة شخصية الطفل من خلال اسمه إلا بعد أن يراه، فالأسماء أصبحت تثير كثيرًا من الحيرة والاستغراب، فهناك على سبيل المثال أسماء مثل: «إيمان، وإحسان، وإلهام، ورجاء، وولاء، وأمل، ونجاح، وصفاء ، ووسام» يمكن للوهلة الأولى أن نعتبرها أسماء إناث، ولكنها أصبحت تطلق على الذكور أيضًا، مما يؤدى فى نهاية المطاف إلى وجود فجوة بين الأسماء و مدلولاتها، كذلك هناك كثير من

الأسماء التى يمكن اعتبارها أسماء ذكور مثل : «عصمت، ورضا، ورأفت، ونور» ولكنها أصبحت فى أيامنا هذه تطلق على الإناث، وهذا يؤدى إلى وقوع بعض المشكلات والمضايقات لمن يتم تسميتهم بمثل هذه الأسماء، مما يمكن أن يؤثر تأثيراً سلبيا على نفسياتهم، وقد يؤدى ببعضهم إلى التقوقع والانعزال وعدم المشاركة بإيجابية فى مجتمعهم الذى يعيشون فيه.

ولاتنتهى القضية عند ذلك الحد - الأسماء المشتركة - بل إنها تمتد إلى ما هو أبعد من ذلك، والذى نقصده هنا هو أن كثيراً من الأسر فى مجتمعنا العربى قد درجت على إطلاق أسماء إضافية على أبنائها إضافة إلى أسمائهم الحقيقية ، وهو ما يمكن أن يطلق عليها «أسماء التدليل»، وذلك إما للتباهى وإما منعاً لحسد الحاسدين، ومن أمثلة تلك الأسماء : «خيشة، وميدو، وميمى، ومودى، وسوسو، وشوشو، وفيفى، وتوتو» إلى غير ذلك من الأسماء التى لاتدل على شيء ، بل إنها غالباً ما تطغى على الاسم الحقيقى للطفل، بحيث إنه بمرور الأيام والسنين قد ينسى الأهل والأصدقاء الاسم الحقيقى للطفل ويذكرون فقط اسم التدليل؛ مما يؤدى فى كثير من الأحيان إلى وقوع بعض المشكلات للفرد خاصة، ولأسرته عامة .

أسماء الأجانب :

ولايقتصر الأمر على مجرد إطلاق الأسماء المشتركة على الأبناء ،

أو على إطلاق أسماء التدليل عليهم، بل إن الأمر يأخذ بعداً آخر قد يعبر عن نمط الشخصية العربية، وخاصة في السنوات الأخيرة، وأقصد بذلك أن نسبة ليست بالقليلة منا كعرب أصبحت تطلق على أبنائها أسماء أجنبية انطلاقاً مما يمكن أن نسميه «عقدة الخواجة»، ومن تلك الأسماء التي اقتبسناها من الأجانب: «هايدى، وسيمون، وأنوشكا، وميرنا، ومنيرفا»، وهناك من تلك الأسماء الكثير، حيث اقتحمت تلك الأسماء علينا أسماءنا من غير استئذان لتوقعنا في حيرة كبيرة، حيث إننا أصبحنا لانستطيع التفرقة بين ما هو عربى، وما هو أجنبى، من خلال الأسماء.

ومن الغريب أن عملية إطلاق الأسماء من قِبَل الآباء على أبنائهم في عالمنا العربى، أصبحت ترتبط أحياناً بالظروف السياسية السائدة في فترة معينة، ففى «مصر» مثلا تجد من أطلق على ابنه اسم «كارتر»، وذلك في الفترة التى تم فيها توقيع معاهدة السلام بين «مصر» و«إسرائيل» عام (١٩٧٩م) وحضر توقيعها الرئيس الأمريكى «چيمى كارتر» ، وفى «الكويت» أطلق كويتى على ابنه اسم «عبد الله بوش» وذلك في الفترة التى وقفت فيها الولايات المتحدة الأمريكية - خلال رئاسة «چورچ بوش» - إلى جوار «الكويت» أثناء الغزو العراقى للكويت عام (١٩٩٠م) .

كذلك نجد أن هناك من أطلق على أبنائه أسماء بعض الشخصيات التاريخية الشهيرة مثل: «هتلر، وستالين، ولينين».

وانطلاقًا من عقدة الخواجه أيضًا نجد أن بعض الآباء والأمهات قد عودوا أبناءهم أن ينادوهم وينادوا أقاربهم بأسماء أجنبية أو بأسماء عربية ملتوية، فنجد هؤلاء الأبناء يستخدمون أسماء مثل: «بابى، مامى، طنط، أونكل، تيته، ونينة، وعمو، وخالو».

خير الأسماء:

وفى ظل هذا الطوفان من الأسماء المشتركة، وأسماء التدليل، والأسماء الأجنبية، أصبحت حياتنا خليطًا غير متجانس، كالثوب المرقع الذى يجمع بين طياته جميع الألوان المعروفة وغير المعروفة، بل إنها أصبحت كالشراب الذى يحتوى على خليط غريب من المذاقات والروائح؛ حيث إنه يجمع بين البارد والساخن والحلو والمر والحرِّيف والهادئ، أو بمعنى آخر: أصبحت تلك الأسماء التى يطلقها بعضنا على أبنائهم، لاتعبر عن هوية وثقافة أمتنا، بل أداة تسهم إلى حد كبير فى فصل هؤلاء الأبناء عن جذورهم وتربتهم التى نشئوا فيها، بحيث ينشئون وقد أصبحوا غرباء فى مجتمعهم.

وإذا كانت اللغة هى وعاء الفكر، فإنه من المتوقع لكثير من أبنائنا الذين لم ترتبط أسماؤهم باللغة العربية والثقافة الإسلامية، أن ينسلخوا عن لغتهم وثقافتهم، فلا يفكرون بها ولا يُضيفون إليها، ومن ثَمَّ تصبح الصلة بينهم وبين تلك اللغة صلةً واهية، وبالتالى يصبح الإبداعُ والعبقرية عملةً نادرة فى زمان نحن فى أمسِّ الحاجة إليها فيه؛ لأنها هى الوسيلة التى يتنافس من خلالها عالم اليوم.

الأمر إذن في حاجة إلى وقفة مع النفس، نراجع فيها تلك القائمة الغريبة من الأسماء التي نطلقها على أبنائنا، بحيث يمكن أن نلتف جميعًا حول شعار (اختيار اسم حَسن لأبنائنا)، وليكن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في كل أمور حياتنا، ومنها بطبيعة الحال اختيار أسماء أبنائنا، فعن عليٍّ -رضي الله عنه- قال: لما ولد الحسن سميته حربًا فجاء رسول الله ﷺ فقال «أروني ابني ما سميتموه ؟» قلت: حربًا. قال :«بل هو حسن»، فلما ولد الحسين سميته حربًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال «أروني ابني ما سميتموه ؟» قلت: حربًا، قال : «بل هو حسين»، فلما ولد الثالث سميته حربًا، فجاء النبي ﷺ فقال: «أروني ابني ما سميتموه؟» قلت: حربًا. قال : «بل هو محسن» [رواه أحمد].

ومعنى هذا أنه يجب علينا أن ننظر إلى عملية إطلاق الأسماء على أبنائنا نظرة جادة، ولا نختار منها إلا ما يعبر عن هويتنا العربية وثقافتنا الإسلامية، وذلك اقتداء بقول رسول الله ﷺ: «إن أحبَّ أسمائكم عند الله عبدُ الله وعبد الرحمن» [رواه مسلم].

إننا حينما نطلق على أبنائنا أسماء على شاكلة تلك الأسماء المشتركة أو أسماء التدليل، فإننا قد نسهم – بقصد أو بدون قصد – في إيقاعهم في كثير من المشكلات في مستقبل حياتهم فكثير من الأسماء التي يطلقها الآباء على أبنائهم ربما تؤدي إلى تعرض هؤلاء الأبناء لكثير من الضغوط النفسية والمشكلات الاجتماعية، وإنني أعرف كثيراً من الشباب الذين قاموا بتغيير أسمائهم، وذلك بعد أن

أوقعتهم تلك الأسماء التى أطلقها عليهم أهلهم فى كثير من المشكلات النفسية والاجتماعية، كما أدت إلى تعرضهم لكثير من المواقف الحرجة.

ولقد جاء فى الأثر أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» -رضى الله عنه- يشكو إليه جحود ابنه وعقوقه إياه، وكيف أنه قد تنكر له بعد أن صار شيخًا هرمًا، فأرسل «عمر بن الخطاب» فى طلب الابن العاق، وعندما جاء الابن ومثل بين يدى أمير المؤمنين، قال له: ما قولك فيما يقوله أبوك من تنكرك لفضله عليك وعقوقك له وجحودك لكل ما قام به نحوك؟ فقال الابن لعمر: ياأمير المؤمنين إن أبى قد أساء إلىَّ فى أمور ثلاثة: أولها: أنه لم يحسن اختيار أمى؛ فأصبحت أُعَيَّر بها بين رفاقى، وثانيها: أنه لم يحسن تربيتى، ولم يعلمنى شيئًا من القرآن، وثالثها: أنه أسمانى جُعْلاً - والجُعْل: حشرة قبيحة المنظر - مما جعل رفاقى يُعَيِّروننى باسمى. وعندئذٍ قال «عمر بن الخطاب» -رضى الله عنه - موجهًا كلامه إلى الأب: يارجل لقد عققت ابنك قبل أن يعقك، ثم قال موجهًا كلامه إلى الرجل -خاصة وإلى الآباء عامة: إن حق الابن على أبيه: أن يحسن اختيار أمه، وأن يعلمه القرآن، وأن يحسن اختيار اسمه.

وهكذا يتضح لنا أن اختيار اسم الطفل يعتبر حقًّا للطفل على أبيه، بحيث يصبح الآباء والأمهات مطالبين بضرورة إعمال الفكر والعقل عند اختيارهم لأسماء أبنائهم؛ حتى لايُسهِموا - بقصد أو بدون قصد - فى

تكبُّد هؤلاء الأبناء كثيراً من العنت الذى يمكن أن يواجهوه من جراء تسميتهم بأسماء مشتركة أو أسماء أجنبية أو ماشابه ذلك.

تعبيرات خاطئة :

ولا يقتصر الأمر فقط على الأسماء التى يطلقها الآباء على أبنائهم، بل إنه يتّسع ليشمل اللغة السائدة داخل الأسرة وما تتضمنه من ألفاظ وتعبيرات مختلفة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى مدى ما تتسم به هذه اللغة من صدق، وهو أمر مهم للغاية، حيث إن الأبناء ينشئون فى ظل تلك اللغة ويتفاعلون معها وتصبح جزءاً من شخصياتهم. ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من الألفاظ والتعبيرات التى ترد على ألسنة الآباء خلال تربيتهم لأبنائهم وتأديبهم لهم، هى فى معظمها تعبيرات لاترتبط بلغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية، مع أن لغتنا العربية غنية بالألفاظ والتعبيرات الحسنة التى تتيح لنا الفرصة لتربية أبنائنا وتنشئتهم فى مناخ عربى إسلامى سليم، فيجب علينا أن تكون لغتنا مع أبنائنا لغة تُرضى عنا الله ورسوله، فلا نعلِّمهم لفظًا أو تعبيراً أو قولاً إلا إذا كان متّسقًا مع لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية ونابعًا منهما، ولنجعل من تعبيرات رسول الله ﷺ وكلماته وألفاظه فى كل حركاته وسكناته، نبراسًا يضىء لنا الطريق خلال تربيتنا لأبنائنا وتأديبنا لهم.

ومن بين تلك التعبيرات الخاطئة التى ترد على ألسنة كثير منا، ويتناقلها الأبناء فيما بينهم، وتصبح جزءاً من شخصياتهم وهويتهم

فى المستقبل« لاحول الله يارب »، « وسوف أعتمد على الله وعليك فى الموضوع الفلانى »، و« لولا كذا الحدث كذا وكذا » و« البقية فى حياتك » إلى غير ذلك من الألفاظ والتعبيرات التى نصبُّها فى آذان أبنائنا صباحًا ومساءً، فيتناقلونها عنا، ويتداولونها فيما بينهم دون أن يُعمِلوا فيها فكرهم وعقولهم، وهى فى حقيقة الأمر ألفاظ وتعبيرات بعيدة كل البعد عن لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية، ومن ثَمَّ فإنها تبعد أبناءنا عن آداب ديننا الحنيف، لذا فإنه يجب علينا أن نستخدم التعبيرات الصحيحة التى تتمشى مع هدى رسول الله ﷺ، فبدلاً من التعبيرات السابقة علينا أن نقول: « لاحول ولا قوة إلا بالله »، و« سوف أعتمد على الله ثم عليك فى الموضوع الفلانى »، و« قَدَّر الله وما شاء فعل »، و« البقاء لله وعظم الله أجرك ».

وليت الأمر يقف عند هذ الحد، بل إن استخدام الآباء لمثل تلك التعبيرات الخاطئة يؤدى بدرجة كبيرة إلى غرس صفات غير مرغوب فيها فى هؤلاء الأبناء. فمن بين تلك التعبيرات الخاطئة الشائعة بين عدد كبير من الآباء، والتى تُسهِم فى غرس صفات سيئة فى الأبناء، تعبير « الكذبة البيضاء »، حيث يقوم كثيرمن الآباء والأمهات بتبرير تصرفاتهم الخاطئة عن طريق ما يسمُّونه بالكذبة البيضاء، ومن أمثلة ذلك: لجوء الأب أحيانًا إلى تنبيه ابنه إلى أنه « إذا سأل أحد عنى فأخبره بأننى غير موجود بالمنزل » ويقوم الطفل بتنفيذ تلك المهمة على خير وجه، فيخبر السائل بأن والده غير موجود بالمنزل. وبمرور الأيام يعتاد الابن هذا السلوك، ويصبح من

السهل عليه أن يتفوّه بكلمات لا علاقة لها بالواقع، وبذلك يكون قد اكتسب صفة مذمومة هى الكذب، بحيث تُصبح تلك الصفة جزءاً من شخصيته لايشعرُ معها بأنه يرتكب جريمة فى حق نفسه وفى حق مجتمعه، وبحيث يصبح هذا الابن فى نهاية الأمر ضحية لأب أحلّ لنفسه تبرير أخطائه السلوكية أمام أبنائه تحت زعم استخدام ما أسماه بالكذبة البيضاء، ناسيًا أو متناسيًا أن الكذب هو الكذب، وأنه صفة مذمومة نهانا رسول الله عنها حين قال: «إنَّ الصِّدقَ يَهدى إلى البرِّ وإنَّ البرَّ يَهدى إلى الجَنَّة، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتى يُكْتَبَ عندَ الله صدِّيقًا، وإنَّ الكَذِبَ يَهدى إلى الفُجُور وإنَّ الفُجُورَ يَهدى إلى النَّارِ وإنَّ الرَّجُلَ لَيكذبُ حتى يُكْتَبَ عِندَ الله كَذَّابًا» [رواه البخارى].

وما من شك فى أن كثيراً من الآباء والأمهات يستخدمون فيما بينهم وبين أبنائهم كلمات وتعبيرات جميلة، يجتهدون فى أن تكون مشتقة من لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية، ومشتقة من هدى رسول الله ﷺ، ويَحْرِصون كلَّ الحرص على أن تكون تعبيراتهم صادقة حتى وهم يمزحون، كما كان يفعل رسولنا الكريم فى كل حركاته وسكناته، وفى جده ومزاحه، فقد كان رسول الله ﷺ يمزح ولايقول إلا حقًّا، ومن ذلك: أن امرأة عجوزاً جاءت تسأله: يارسول الله هل أنا من أهل الجنة؟ فردَّ عليها الرسول الكريم: «لايدخل الجنةَ عجوزٌ» فانصرفت المرأةُ باكيةً حزينة، فقال الرسول لمن حوله: «أخبروها بأن الناس يُبْعثون يوم القيامة شبابًا، فلا يكون بينهم عجوزٌ» [رواه الترمذى].

وعلى ذلك فإنه لايدخل الجنة عجوز .

وهكذا فإن الرسول الكريم يعلمنا ضرورة الالتزام بالصدق فى القول والعمل، وفى الجد والهزل، حتى ننال رضى الله سبحانه وتعالى، وحتى نكون قدوة حسنة لأبنائنا فيتعلمون منا كيف يتحرون الصدق فى كل ما يصدر عنهم من ألفاظ وكلمات وتعبيرات .

ونظرًا لأن كثيرًا من الآباء والأمهات يقعون - بقصد أو بدون قصد - فى مغبَّة استخدام تلك التعبيرات الخاطئة، لذا فإننى أنصح بالرجوع إلى هدى رسول الله ﷺ باعتباره مَعينًا لايَنْضُب، حيث إنه يجب علينا جميعًا أن نشتق تعبيراتنا وكلماتنا التى نُعَلِّمها لأبنائنا من آداب الإسلام، فنعلِّمُهم ماذا يقولون عند الاستيقاظ من النوم، وعند دخول الحمَّام، وعند الخروج منه ، وعند تناول الطعام، وعند ارتداء الملابس وعند خلعها، وعند ركوب السيارة، وعند لقاء الأصدقاء وذلك لكى تصبح الكلمات والتعبيرات المتداولة على ألسنة أبنائنا هى نفس الكلمات والتعبيرات التى كان يتداولها رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، بحيث تصبحُ جميع حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وتعبيراتهم نابعةً من لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية، وبحيث يصبح أبناؤنا نبتًا لتربة بلدهم ووطنهم، وبحيث تصبح لأمتنا العربية الإسلامية هويتها فى زمن ضاعت فيه هويات كثير من دول العالم .

الفصل الثانى

لغة الشارع

إذا فرضنا أن الأب والأم قد قاما بدورهما فى تربية أبنائهما وتأديبهم على أتم وجه، وصبَّا فى آذانهم الأسماء والكلمات والتعبيرات المشتقة من لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية، بحيث أصبح كل ما يرد على ألسنة هؤلاء الأبناء كلماتٍ وتعبيرات عربية، فإن الأمر يجب ألا يقف عند هذا الحد، حيث تظل مسئولية الآباء خطيرةً، حيث تتمثل تلك المسئولية فى ضرورة الحفاظ على ما اكتسبه الأبناء من لغة وثقافة عربية إسلامية، ذلك لأن هؤلاء الأبناء سوف يتعرضون فى الشارع لمؤثرات كثيرة ومتنوعة قد تؤدى إلى ضياع كثير مما تعلمه الأبناء داخل منازلهم.

الأب الغائب والأم المشغولة :

لعلنا نتساءل هنا عن مدى قيام الآباء والأمهات بدورهم، ليس فيما يتعلق بحماية أبنائهم من لغة الشارع وثقافته فقط، وإنما نتساءل أيضًا عن مدى قيامهم بدورهم الرئيسى فى المنزل، المتمثل فى تربية أبنائهم وتأديبهم بالآداب الإسلامية، وتنشئتهم من خلال الأسماء والألفاظ والتعبيرات العربية الإسلامية، وذلك لكى ينشئوا مرتبطين بتربتهم العربية الإسلامية ، حيث إنه من الملاحظ أنه فى ظل متغيرات

العصر، وفى ظل سيادة القيم المادية وانهيار القيم الأخلاقية- انصرف كثير من الآباء والأمهات عن تربية أبنائهم وتأديبهم، بحيث أصبح الأب غائبًا والأم مشغولة عن القيام بتلك المهمة الخطيرة، فالأب غائب عن بيته معظم ساعات اليوم، إذ إنه عادة ما يخرج إلى عمله فى الصباح الباكر جريًا وراء لقمة العيش - التى أصبحت تتطلب المزيد من الجهد والعرق - ولا يعود إلى منزله إلا فى وقت متأخر من الليل، وكأن البيت لايمثل بالنسبة إليه إلا مكانًا للنوم فحسب؛ ومن ثَمَّ فهو لايرى أبناءه ولايجلس معهم جلسات طويلة إلا فى العطلات الرسمية، وقته لايتسع للتفكير فى عملية تربيتهم وتأديبهم، حيث إن العطلة الأسبوعية تكون فرصةً لحصوله على قسط كافٍ من الراحة بعد مرحلةٍ من العناء الذى لاينتهى.

وأمام هذا القصور الكبير فى دور كثير من الآباء فى القيام بتربية الأبناء وتأديبهم، فإنه تبرز أهمية دور الأم فى هذا الصدد، وهذا يدفعنا إلى أن نتساءل: ما مدى قيام الأم بدورها فى تربية أبنائها وتأديبهم من خلال لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية؟

إن الأم حاليًّا هى إما امرأة عاملة، أو ربة بيت، فالأم كامرأة عاملة يضيع كل جهدها ووقتها فى القيام بمتطلبات وظيفتها، وهى متمسكة بعملها تمسكًا شديداً متعللة فى ذلك بأنها تسهم مساهمة فعالة وضرورية فى نفقات المعيشة المنزلية ، ومن ثَمَّ فإن وقتها يكاد يكون موزعًا بين القيام بعملها فى وظيفتها ؛ وبين القيام بالحاجات الضرورية

للزوج والأبناء من إعداد للطعام وتنظيف للمنزل .. إلخ، ومن ثَمَّ لايتبقى لها الوقت الكافى لكى تؤثر تأثيرًا فعالاً فى شخصيات أبنائها، ناهيك عن تأديبهم بما يتمشى مع الآداب الإسلامية.

أما عن المرأة كربة بيت، فإنه يمكن القول بأن لديها وقتًا كافيًا لكى تقوم برعاية أبنائها وتربيتهم وتأديبهم والسهر على راحتهم، غير أنه يلاحظ أن نسبة كبيرة من ربات البيوت تستخدم خلال تربيتها لأبنائها وتأديبها لهم كلمات وتعبيرات بعيدةً جدا عن لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية؛ مما يؤدى فى نهاية الأمر إلى إضعاف الصلة بين هؤلاء الأبناء وبين لغتهم التى يتحدثون بها.

وفى ظل هذا الغياب من جانب الآباء والانشغال من جانب الأمهات، أصبح الأبناء هم الضحية ، وأصبح الشارع هو ملاذ عدد كبير منهم، يؤثر فيهم تأثيرًا خطيرًا .

إن كثيراً من الأبناء فى أيامنا هذه يمكن أن يوصَفوا بأنهم يتامى، وذلك على الرغم من وجود آبائهم وأمهاتهم على قيد الحياة، ولقد عبر الشاعر عن ذلك بقوله:

ليس اليتيمُ مَنِ انتهى أبواه مِن

هَمٍّ الحياةِ وخَلَّفاه ذَليلا

إنَّ اليتيمَ هو الذى تَلْقى له

أما تَخَلَّت أو أبًا مشغولا

لقد ذكر لى أحد الأصدقاء أنه استيقظ ذات يوم مبكرًا على صوت ضجة وضجيج فى الطابق الذى يعلو مسكنه، فقام من فراشه مذعورًا، وأسرع يغيِّر ملابسه، ثم صعد السلم بخُطى سريعة ليقف على حقيقة ما يجرى، فقد كانت تربطه بتلك الأسرة علاقة ودٌّ وصداقة قوية، وما إن وصل إلى باب الشقة وقام بطرق الباب، وفُتح له باب الشقة- حتى فوجئ بصراع عنيف بين الأم وبين ابنها الذى لمّا يتجاوز الحادية عشرة من عمره، فالابن مصمم على أن يضرب والدته، بينما جده - وهو رجل مسن - يحاول بكل قواه أن يمنع هذا الغلام الصغير من أن يقوم بذلك العمل المذرى - عملية ضربه والدته - والغلام يزداد إصرارًا على ضربها، وهنا تدخَّل ذلك الصديق، فأمسك الغلام وأخذ يُهدِّئ من ثورته، ويصبُّ فى أذنيه كثيرًا من النصائح حتى هدأ ومرت العملية بسلام.

وقد سأل هذا الصديق والدة الطفل عن سبب هذا الشجار، فأجابت بأن جريمتها تتمثل فى أنها أخبرت والد الطفل بأنه لم يذهب إلى المدرسة بالأمس. غير أن هذا الصديق لم يقتنع بأن ذلك الشجار الحاد يرجع إلى هذا السبب، استطاع الصديق من خلال سؤال الأم والجد، وعن طريق سؤال الأب بعد ذلك أن يقف على الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة الخطيرة، والتى أصبحت شائعة بدرجة كبيرة فى أيامنا هذه. فالأب يقضى كل ساعات اليوم خارج المنزل لاهثًا وراء لقمة العيش ، التى أصبح الحصول عليها أمنية بعيدة المنال، فهو يخرج

من منزله فى السادسة صباحًا وأبناؤه نائمون، ويعود إلى المنزل بعد منتصف الليل، فيجد الأبناء وقد أَوَوْا إلى فراشهم، والأم مشغولة بأمور كثيرة ليس من بينها تربية الأبناء وتأديبهم، بل إنها كثيرًا ما تُخفى عن الأب جوانب الإخفاق فى حياة أبنائه، وبِنَاءً على كل ذلك فإن هذا الابن المتمرد هرب من البيت فاحتواه الشارع بلغته وثقافته، ووجد ضالته المنشودة فى شلة الأصدقاء - رفاق السوء - واستطاعت تلك الشلة أن تؤثر تأثيرًا سلبيا على أخلاقياته، فأصبح سليط اللسان ، مدمنًا للتدخين، كاذبًا فى كل أقواله وأفعاله، ومن ثَمَّ فقد أصبح وبالاً على نفسه وأسرته وخاصة والدته، التى أمر الله ورسوله بضرورة طاعتها والبر بها والإحسان إليها.

فهل لنا مَعْشَرَ الآباء والأمهات فى صحوة وعودة إلى بيوتنا التى نعيش خارجها ونحن داخلها، هل آن الأوان لكى نعود إلى أبنائنا نعلمهم ونربيهم ونؤدبهم فى ظل مناخ من الأسماء والكلمات والتعبيرات المشتقة من لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية؟ وهل لنا أن نقتدى بمعلم البشرية محمد ﷺ، الذى ربى أصحابه وأدبهم بما أمره الله -تعالى- به، وعلم الأطفال ولقنهم الكلمات الجميلة، وربَّاهم على الآداب الصحيحة؟ فها هو رسول الله ﷺ يعلم عمر بن أبى سلمة -رضى الله عنه- وهو ما يزال طفلاً صغيرًا - فيقول له: «ياغلام: سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك وكُلْ مما يليك» [رواه البخارى ومسلم].

وهاهو ﷺ يجعل من ظهره مَطِيةً للحسن والحسين – رضى الله عنهما– حيث كان أحدهما يركب على ظهر الرسول أثناء سجوده، فيظل ساجداً حتى ينتهىَ الطفلُ من لعبه وينزل من فوق ظهره، فينهض رسول الله، ويتم صلاته، ومعنى هذا أننا يمكن أن نعلم أبناءنا كثيراً من الكلمات والألفاظ والتعبيرات الحسنة من خلال قيامنا باللعب معهم، وذلك بدلاً من أن نتركهم عرضة للضياع بين غيابنا وانشغالنا كآباء وأمهات.

أبناؤنا ورفاق السوء:

لقد أدى غياب الآباء وانشغال الأمهات إلى اهتزاز فى تربيتهم لأبنائهم، بحيث أصبح هؤلاء الأبناء غرباء فى بيوتهم، وبحيث أصبحوا فريسة لجميع المؤثرات الأخرى التى قد تؤدى إلى اكتسابهم مفردات وكلمات وتعبيرات بعيدة كل البعد عن لغتنا العربية وآدابنا وثقافتنا الإسلامية، وبحيث أصبح الآباء يسهمون – بقصد أو بدون قصد – فى هذه المحنة التى يتعرض لها أبناؤهم .

إن غياب الآباء وانشغال الأمهات سيؤدى بلا شك إلى ازدياد فعالية الشارع، بحيث يصبح هو الملاذ الرئيسى للأبناء، يلجئون إليه وينهلون من لغته وثقافته، وتتلقفهم جماعات من رفاق السوء، بحيث تصبح تلك الجماعات بديلاً رئيسيًا للأسرة، وتصبح هى البوتقة التى ينصهر داخلها أبناؤنا – فى ظل غيابنا وانشغالنا – ويعاد تشكيل شخصياتهم بها، ثم نُفَاجأ فى يوم من الأيام بأن هؤلاء الأبناء ليسوا

أبناءنا فى عاداتهم وسلوكياتهم.

ولكى نحمى أبناءنا من الوقوع في براثن تلك الجماعات من رفاق السوء، التى يمتلئ بها الشارع فى هذه الأيام، فإن مهمتنا تصبح خطيرة وصعبة فى آن واحد، انطلاقًا من أن هؤلاء الأبناء هم رعيتنا التى نحن مسئولون عنها أمام الله، عز وجل، والتى يقول رسول الله ﷺ فى شأنها: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته» [رواه البخارى]، فذكر من بين ما ذكر الزوج والزوجة؛ لذا فإنه يجب على الآباء والأمهات الاهتمام بأبنائهم، وذلك من خلال تربيتهم وتأديبهم وتنشئتهم فى ظل مناخ من الأسماء والكلمات والتعبيرات المشتقة من لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية؛ حيث إن فى ذلك حماية لهم من رفقاء السوء، الذين يمثلون بؤراً جرثومية اجتماعية، لاهمَّ لهم إلا القضاء على كل طيب وجميل فى أخلاقيات الأبناء الذين غاب عنهم آباؤهم وانشغلت عنهم أمهاتهم.

يجب علينا كآباء وأمهات أن نسلِّح أبناءنا بكل ما من شأنه أن يجعلهم قادرين على اختيار الأصدقاء الخيرين، والابتعاد عن رفاق السوء، ويجب علينا أن نعلمهم حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك؛ إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد

منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرقَ ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة» [رواه مسلم]، وذلك لكى نحببَ إليهم الجلساء الصالحين فيتقربوا منهم ويجالسوهم، ونكرِّه إليهم رفقاء السوء فيجتنبوهم ويبتعدوا عنهم؛ لكى يبعدوا أنفسهم عن الشبهات، وبذلك يكون سلوكهم هذا تطبيقًا عمليا لحديث رسول الله ﷺ «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» [رواه الترمذى].

وهكذا يتضح لنا أنه كلما قام الآباء والأمهات بدورهم فى تربية أبنائهم وتأديبهم على الوجه الأكمل، ساهم ذلك فى بناء المجتمع العربى المسلم على أسس وقواعد راسخة.

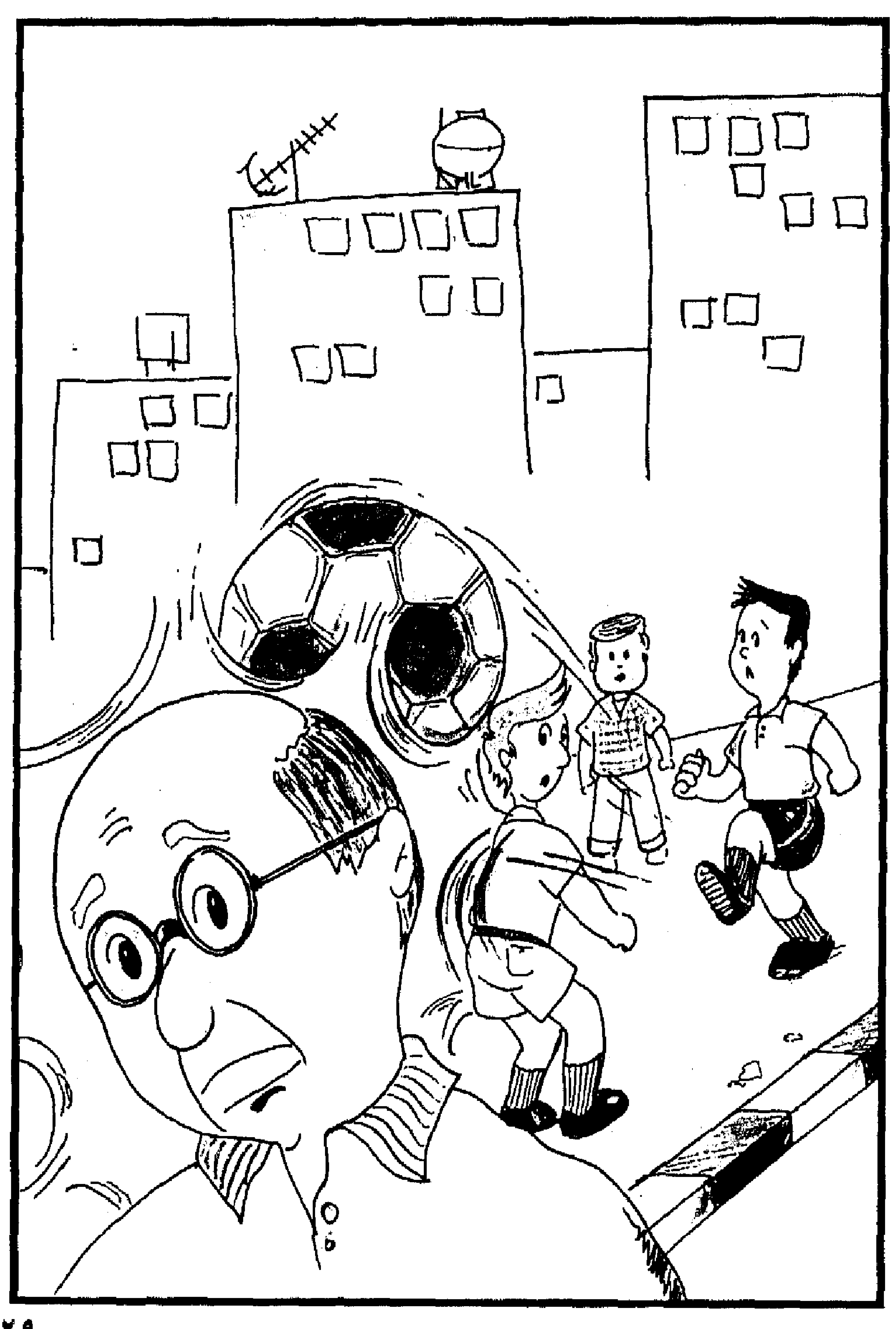
كلمات تخدش الحياء:

وفى الشارع يتعرض أبناؤنا لعديدٍ من المؤثرات السلبية، التى تؤدى إلى إزالة بعض ما قام به الآباء والأمهات من جهود فى تربية هؤلاء الأبناء وتأديبهم، كما تؤدى إلى تشويش بعض ما اكتسبوه من ألفاظ وكلمات وتعبيرات مشتقة من لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية؛ ومن ثَمَّ يكون الشارع بمؤثراته من أخطر العوامل التى تُهدِّد كل ما يقوم به الآباء والأمهات من جهود فى تربية أبنائهم، فالشارع عبارة عن محيط متلاطم الأمواج، حيث تكثر به الكلمات التى تُفسد الأخلاق، فأنت حينما تسير فى الشارع تجد أن الأطفال قد حوَّلوه إلى ملعبٍ للكرة، وهم لايسمحون لأحد بالمرور سواء كان شيخًا كبيرًا أو سيدة أو طفلاً، فإذا طلب منهم أحد أن يوقفوا نشاطهم حتى يمر من أراد

المرور، ربما أسمعوه أنواعًا من الكلمات والتعبيرات التى يتورع لسان المرء عن أن ينطق بها، هذا بخلاف ما قد يدور بينهم من أنواع مختلفة من الشتائم والسباب . والذى يُؤلم النفس ويزيد من مرارتها أن هؤلاء الأطفال لايجدون من يُسدى إليهم النصح ويوضح لهم أنه لاينبغى لهم أن ينطقوا بمثل تلك الكلمات المشينة؛ حيث أصبح الأمر مألوفًا لكثير من المارة، فلم يَعُد يحرك فيهم ساكنًا، وقد نسى هؤلاء أن للطريق عليهم حقًا يجب عليهم أداؤه، ألا وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وذلك اتباعًا لهدى رسول الله ﷺ ولذا فإنه يجب علينا جميعًا أن نَنْهى هؤلاء الأطفال عن النطق بمثل تلك الكلمات السيئة، وعن أن يسب بعضهم بعضًا، أو أن يسب بعضهم آباء بعض ، ويجب أن نوضح لهم أن هذا يُعد من أكبر الكبائر ، حيث يقول رسول الله ﷺ : « إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه » . قالوا : وكيف يسب الرجل والديه؟ قال : « يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه » [رواه أحمد] .

فلنعمل جميعًا آباء وأمهات على تأديب أبنائنا بآداب الإسلام، ولنغرس فيهم الأخلاق الكريمة، ولنعلمهم ألا يقابلوا الإساءة بالإساءة، بل عليهم أن يقابلوا الإساءة بالإحسان، امتثالاً لحديث رسول الله ﷺ : « اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ الناسَ بخلق حسَنٍ» [رواه الدارمى] .

وفى الشارع نسمع كثيرًا من الكلمات والأسماء الغريبة، التى ما



أنزل الله بها من سلطان ، والتى لاشك فى أنها تحط من شأن اللغة العربية، فلكل طائفة من المجتمع مصطلحاتها وتعبيراتها التى تردِّدها فيما بينها، والتى يتأثر بها جميع من يُمْضون كل وقتهم أو بعضه فى الشارع، ومنهم الأبناء الصغار، فبين طائفة السائقين تجد ألفاظًا، مثل: « دنجل » للتعبير عن الشخص الذى كان (عربجيا) ثم أصبح يقود سيارة، و« الطائر » للتعبير عن السائق الذى يقود سيارته بسرعة كبيرة، و« الهوا » للتعبير عن سائق سيارة البيجو، وفى طائفة الميكانيكيين نجد مثلاً لفظ « بلية » وهو تعبير يدل على الطفل الصغير الذى ما يزال فى بداية مرحلة تعلمه ميكانيكا السيارات أو غيرها مما يرتبط بعالم السيارات. وفى عالم اللصوص والنشالين تجد تعبيرات ومصطلحات أشد غرابة، فكلمة « سنجة » تدل على الشخص العاطل الذى لايعمل ولايبحث عن عمل، وكلمة « ملقاط » تدل على الشخص النشال، بمعنى أنه الشخص الذى يلتقط النقود من جيب ضحاياه بسهولة ويسر دون أن يشعروا به، وكلمة « ريشة » هى صفة للنشال شديد المهارة خفيف اليد، وكلمة « سوكلانة » تدل على الشخص الذى يتعاطى أقراصًا مخدرة، أو هو الشخص « المبرشم » بلغتهم أيضًا .

ولا يقتصر الأمر فيما يتعلق بخدش الحياء وإفساد الأخلاق والأذواق على تلك الألفاظ والتعبيرات التى تصبها بعض طوائف المجتمع فى آذاننا وآذان أبنائنا فى الشارع، ولكنه يتسع ليشمل -أيضًا- بعض أسماء الأفراد، التى يمكن أن تسهم بدرجة كبيرة فى إفساد الذوق العام ، ومنها

على سبيل المثال: (سطوحى، وجاعورة، والعفش، والنوام، والغلبان، وزعبلة،وبرعى، وحكشة، وهيشة، وهيمة) وكلها أسماء لاتحمل أى معنى من المعانى، بل إنها بعيدة كل البعد عن الذوق الرفيع، هذا بالنسبة لأسماء الذكور، أما بالنسبة إلى أسماء الإناث فإنك تجد أيضاً قائمة طويلة غريبة وعجيبة مثل: (نوسة، وطاطا، وسوكا، وكايداهم) وكلها أسماء يعجز المرء عن معرفة الأصول اللغوية التى اشتقت منها.

وإذا كان هذا هو واقع لغة الشارع العربى المعاصر بأمواجه المتلاطمة من كلمات وألفاظ وتعبيرات تخدش حياء المارة، وتؤثر فى أبنائنا تأثيرات سلبية وتؤدى إلى اكتسابهم كثيراً من الصفات غير المرغوب فيها، والتى تستمر معهم طيلة حياتهم. إذا كان هذا هو حال الشارع العربى المعاصر، فإنه يبرز سؤال على قدر كبير من الأهمية وهو : كيف كان حال الشارع العربى فى صدر الإسلام ؟ وما نوعية الكلمات والألفاظ والتعبيرات التى استخدمت فى ذلك الشارع؟ إننا نستطيع أن نتعرف على بعض آداب ذلك الشارع من خلال حديث رسول الله ﷺ، الذى يحدد فيه القواعد التى يجب على الفرد أن يتبعها خلال وجوده فى الشارع، وذلك لكى يصبح الشارع بيئة جيدة ينمو من خلالها الكبار والصغار نمواً لغوياً وسلوكياً بصورة متكاملة؛ حيث يقول رسول الله ﷺ لأصحابه: «إياكم والجلوس على الطرقات»، فقالوا: ما لنا بُدٌّ إنما هى مجالسنا نتحدَّث فيها قال: «فإذا أبيتُم إلا المجالسَ فأعطوا الطريق حقها» ، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «غضٌّ البصر، وكفٌّ الأذى، وردٌّ

السلام، والأمرُ بالمعروف والنَّهْيُ عن المنكر» [رواه البخارى].

ولقد طبق المسلمون الأوائل تلك القواعد التى أمرهم بها رسول الله ﷺ خلال وجودهم فى الطرقات والشوارع، فجاءت كل تعبيراتهم وكلماتهم وألفاظهم التى يتبادلونها فيما بينهم فى الطرقات بما يُهذِّب الأذواق ويرتقى بمستوى الأخلاق، ويرضى عنهم الله ورسوله، وفى ظل هذا المناخ اللغوى الجميل نشأ أبناء المسلمين الأوائل، وتربوا على التحدث بكل جميل من الأقوال والألفاظ والتعبيرات .

ونحن فى أيامنا هذه يجب علينا أن نتأسَّى برسول الله ﷺ وذلك عن طريق تطبيق القواعد التى تضمنها الحديث الشريف فيما يتصل بسلوكنا وسلوك أبنائنا فى الشارع، حيث يجب علينا أن نعلمهم كيف يبدءون بتحية من يقابلهم من الأصدقاء بقولهم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كما يجب أن ننمِّى فيهم كيف يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيما بينهم، بحيث يصبح كل منهم رقيبًا على الآخرين فى كل ما ينطقون به من كلمات وتعبيرات، فلا يقبل منهم إلا ما هو جميل من الكلمات والألفاظ والتعبيرات .

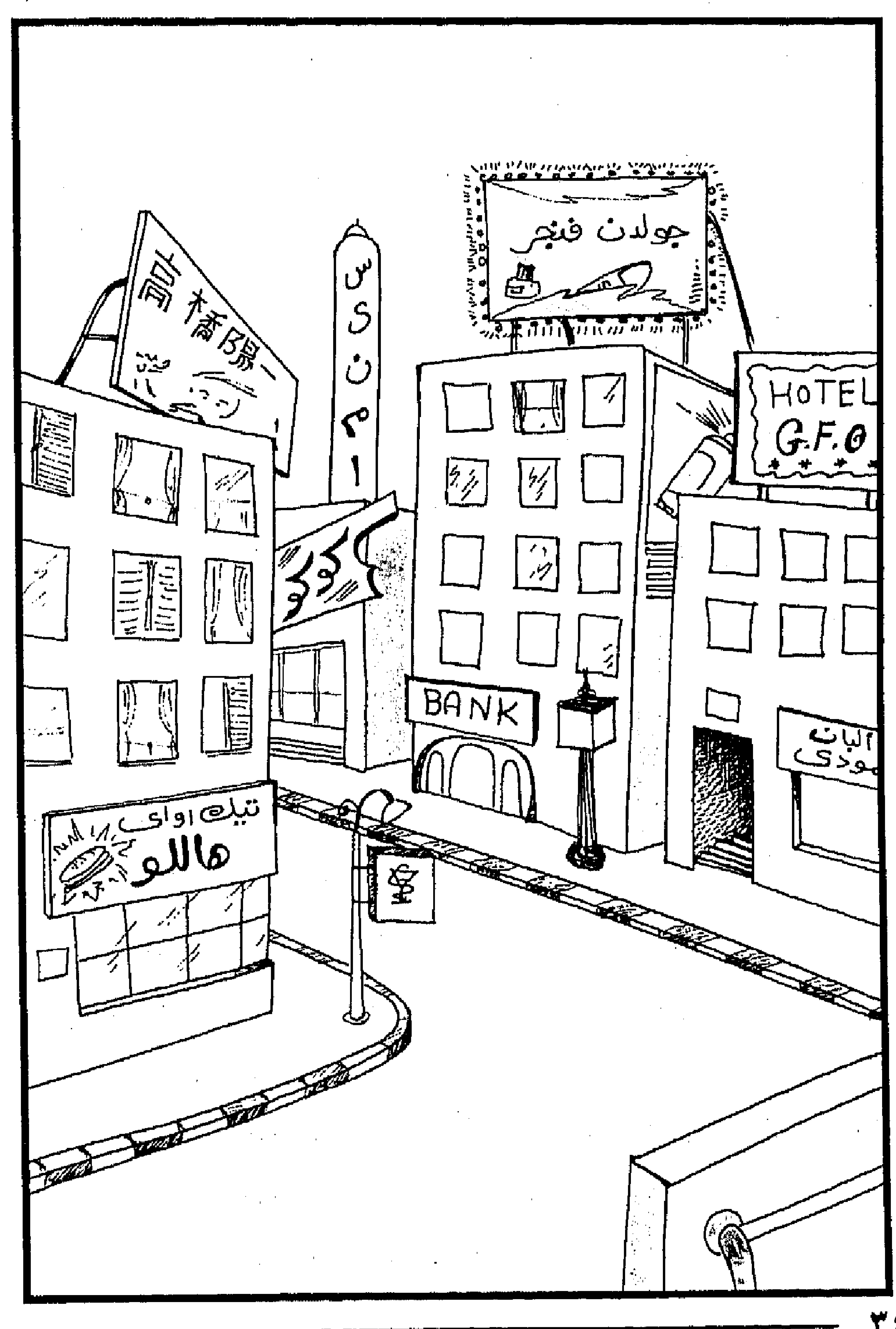
خليط من اللافتات والملصقات :

وفى الشارع ترى عجبًا، فأنت حينما تسير فى أحد الشوارع فى أى مدينة عربية، يخيل إليك للوهلة الأولى أنك لاتسير فى مدينة عربية إسلامية، بل تشعر بأنك تعيش فى مدينة أوربية، ليس لأن المدينة العربية قد بلغت درجة كبيرة من الرقى والنظام والنظافة مثل

المدن الأوربيـة، ولكن لأن اللافتـات والملصـقـات التى تكتب على المحلات والمطاعم والفنادق فى معظمها أسماء أجنبية لاصلة لها من قريب أو بعيد باللغة العربية والثقافة الإسلامية، ومن ثَمَّ فإن تلك اللافتات والملصقات تعتبر من بين العوامل التى تؤدى إلى ابتعادنا نحن وأبنائنا عن لغتنا العربية شيئًا فشيئًا، ومن ثَمَّ انسلاخنا عن ثقافتنا وهويتنا العربية والإسلامية.

فبالنسبة إلى المحلات التجارية والمطاعم، نجد أنها تنقسم إلى قسمين رئيسيين، أولهما: محلات تجارية ومطاعم هى فى الأصل فروع لمحلات ومطاعم عالمية؛ ومن ثَمَّ فلا غضاضة فى أن تظل محتفظة بأسمائها الأجنبية، بل إنها تعد دليلاً حيًّا وملموسًا على وجود علاقات تجارية ، وتعاون بيننا وبين تلك الدول التى تمثلها تلك المحلات، وثانيهما: محلات تجارية ومطاعم أسسها أشخاص عرب مسلمون، ولكنها تحمل أسماء أجنبية وهذه هى التى تعد نبتًا غريبًا وشاذا فى بيئتنا العربية الإسلامية.

وما ينطبق على المحلات التجارية والمطاعم، يمكن أن ينطبق أيضًا على الفنادق – وخاصة الكبرى منها – التى يُطلق عليها (فنادق خمسة نجوم)، فهى فى معظمها تحمل أسماء أجنبية، ربما لأنها فروع لشركات فندقية عالمية، ولكننا يمكن أن نتساءل هنا عن تلك الفنادق التى يتم إنشاؤها بأيدٍ عربية، لماذا لاتحمل تلك الفنادق أسماء عربية مشتقة من لغتنا التى تعبر عنا وعن هويتنا .



高橋陽一
س
ى
ن
م
ا
جولدن فنجر
HOTEL
G.F.O
كوكو
BANK
تيك اواى
هاللو

ومن الغريب أن عدوى الأسماء الأجنبية قد امتدت لتشمل المدارس أيضًا، فمع أن المدارس فى حقيقة الأمر مؤسسات ينظر إليها باعتبارها من أقوى العوامل التى تربط الفرد ببيئته ومجتمعه، وذلك عن طريق نشرها للغة القومية - فأنت حينما تسير فى أحد الشوارع، ترى كثيرًا من السيارات التابعة لمدارس اللغات أو غيرها، تحمل أسماء أجنبية تمت كتابتها بطريقة غريبة، ومن أمثلة هذه المدارس: (مدارس زينا سكول)، و(مدارس فلاورز سكول)، والغريب هنا أن القائمين على أمر هذه المدارس قد نسوا أو تناسوا - عند اختيارهم لأسماء مدارسهم - أن مدارس (زينا سكول) تعنى (مدرسة زينا) وأن مدارس (فلاورز سكول) تعنى (مدرسة الورود) مما يعنى أن الذين أسسوا هذه المدارس نظرًا لضعف صلتهم باللغة القومية، نسوا تأثير ذلك على تلك اللغة، واعتبروا أن ذلك يُضفى العظمة والأبهة والوجاهة الاجتماعية على شخصياتهم.

لقد ساهم القائمون على أمر تلك المدارس التى تحمل أسماء أجنبية ، فى إيجاد نبت غريب عجيب فى بيئتنا العربية الإسلامية، وكان يمكن لهؤلاء أن يرجعوا إلى لغتهم العربية، ذلك المعين الذى لاينضب، يتخيرون منها لمدارسهم ما يشاءون من الأسماء العربية الجميلة، لأن فى ذلك تدعيمًا لهويتنا العربية الإسلامية، تلك الهوية التى ستؤدى بلا شك إلى احترام كل دول العالم لنا.

الفصل الثالث

ذلك المقتحم لبيوتنا

يمكن للآباء والأمهات الحريصين على لغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية، إذا ما وجدوا التوجيه السليم والإرشاد المناسب أن يقوموا بتعليم أبنائهم كل ما يربطهم بلغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية السمحة، غير أنه من الملاحظ أن هناك كثيراً من العقبات التى يمكن أن تحول بين الآباء والأمهات وبين تحقيق أهدافهم هذه تحقيقاً كاملا، ومن أبرز تلك العقبات التليفزيون، الذى يعتبر حجر عثرة فى سبيل إكساب أبنائنا الأسماء والكلمات والتعبيرات المشتقة من اللغة العربية والثقافة الإسلامية .

إعلانات التليفزيون :

لايستطيع أحد أن يُنكِر أن للتليفزيون دوراً مهمًا وحيويًا فى حياة الكبار والصغار على السواء، حيث إنه عن طريق ما يقدِّمه من برامج وإعلانات متنوعة يمكن أن يؤثِّر فيما نكتسبه نحن وأبناؤنا من ألفاظ وكلمات وتعبيرات مختلفة، ومن ثَمَّ فإنه يؤثر تأثيراً مباشراً فى شخصياتنا وشخصيات أبنائنا، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن هناك كثيراً من البرامج الجيدة التى تؤدى إلى تهذيب الأخلاق والأذواق ،

كما أنها تؤدى إلى إكساب الأبناء الأسماء والكلمات والتعبيرات العربية؛ ومن ثَمَّ فهى تدعم ارتباطهم ببيئتهم التى نشئوا فيها، غير أنه يمكن القول أنه ليست كل إعلانات التليفزيون لها نفس القدر من الجودة، فكثيرمن الإعلانات تعتمد على اللغات الأجنبية فى تعاملها مع جمهور المشاهدين– ومنهم الأبناء الصغار – مما يجعل هؤلاء الأبناء عرضة لأن يضعفوا لغتهم العربية شيئًا فشيئًا، نظرًا لأن تلك الإعلانات تستوعب نسبة كبيرة من ساعات الإرسال التليفزيونى، ومن هنا تبدأ خطورة مثل هذه الإعلانات، وذلك بسبب اعتمادها على لغة أخرى غير لغتنا العربية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن أخطر ما تنطوى عليه هذه الإعلانات أنها لاتتحرى الصدق فيما تقول، وفيما تعلن عنه من سلع وأجهزة مختلفة، حيث إننا يمكن أن نشاهد خلال عشر دقائق مثلا إعلانات متنوعة عن أنواع مختلفة من مساحيق الغسيل – وهى كثيرة للغاية – بحيث يحاول المُعلِن أن يُقنعنا بشتى الوسائل أن المسحوق الذى يتحدث عنه هو الأفضل والأحسن ، وأنه المسحوقَ الوحيد فى العالم أجمع الذى يجعل الملابس ناصعةَ البياض، ويجعل ألوانها زاهية ورائحتها طيبة، بحيث تجعلنا تلك الإعلانات نقع فى حيرة ، فأى هذه الإعلانات نُصدِّق، وأيها نختار لتنظيف ملابسنا؟ والذى يدعو إلى الحزن أننا حينما يقع اختيارنا على أحد هذه المساحيق ، لا نجد به كل المزايا التى تم الإعلان عنها من خلال شاشة التليفزيون .



ومثل تلك النوعية من الإعلانات كثيرة ومتنوعة ، فهناك الإعلانات عن أنواع السمن النباتي والشاى والمكرونة والشيكولاتة والبسكوت، غير أنه من الملاحظ أن مثل تلك الإعلانات تعتمد أحيانًا على ألفاظ وكلمات وتعبيرات مبتذلة تُفسِد الأذواق، وتؤثر تأثيرًا سلبيا على ما يكتسبه أبناؤنا من لغة يستخدمونها فى حياتهم، فمن بين التعبيرات التى تستخدمها تلك الإعلانات (إديها ميه تديك جوايز، كلها حنية، شيء وشويات، اغسلى يا أروبة، عال العال، كبشتين وتلات كبشات، لذيذة لذاذا، بتمزمز مزازة، بيحبك كمان وكمان، بتقرمش وفى بقك حتخروش) وهى فى جملتها كلمات عامية وتعبيرات سيئة، تعمل شيئًا فشيئًا على تشويه المناخ اللغوى فى مجتمعنا، الذى يجب على كل أفراده أن يتمسكوا بالمحافظة عليه؛ ومن ثَمَّ يتمسكون بلغتهم العربية ويحرصون على استخدامها فى حياتهم اليومية.

كذلك فإن إعلانات التليفزيون فى معظمها إعلانات راقصة؛ حيث تجد فى كل إعلان مجموعة من الفتيات اللاتى يرتدين الملابس التى تكشف أكثر مما تستر من أجسادهن؛ حيث تجدهن يتراقَصْن فى خلاعة ، بصورة تؤدى إلى إشاعة الفتنة فى نفوس أبنائنا، ومن الغريب حقا أن نرى هذا الإصرار على أن تكون معظم هذه الإعلانات راقصة، وكأنه لاسبيل إلى تسويق السلعة إلا بهذا المجون والرقص، ولعل القائمين على أمر تلك الإعلانات قد نسوا أو تناسوا أن مثل تلك

الإعلانات بصورتها التى هى عليها تؤدى إلى إفساد أخلاق أبنائنا وأذواقهم؛ مما يكون له آثار خطيرة على مستقبل مجتمعنا العربى.

غير أنه مما تجدر الإشارة إليه أن أكبر خطر تنطوى عليه إعلانات التليفزيون، هو ذلك الحجم الكبير من الأكاذيب التى يتعرض لها أبناؤنا خلال اليوم من جراء مشاهدتهم لتلك الإعلانات، والتى مع استمرارها يصبح الكذبُ عادةً مألوفةً لدى أبنائنا، وخاصة مع غياب الآباء وانشغال الأمهات، ومن ثَمَّ فإن التليفزيون بإعلاناته يصبح هو فارس الميدان الوحيد الذى يجب علينا جميعًا أن نطالبه بضرورة إعادة النظر فيما يقدمه من إعلانات، بحيث تحل الإعلانات الصادقة محل الإعلانات المضللة، وبحيث يصبح الصدق قيمةً كبيرة فى حياتنا وحياة أبنائنا، بل يصبح محور الحياة كلها.

لقد علمنا رسولُ الله ﷺ كيف نصدُق، وكيف نتحرَّى الصدق عندما نقوم بالإعلان عن سلعة معينة، وما هى الآداب التى يجب علينا أن نلتزم بها، عندما نقوم ببيع سلعة من السلع، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ مر على صُبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا، فقال: «ما هذا ياصاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يارسول الله. قال: أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس؟ من غش فليس منى» [رواه مسلم].

ويفهم من هذا أن تحرى الصدق عند عرض سلعة ما للبيع، يكسب البائع ثقة المشترى ووده واحترامه، ومن ثَمَّ فإنه أحرى بنا أن

نجعل الصدق معياراً لنا فى كل حركاتنا وسكناتنا، حتى يشب أبناؤنا على تلك الصفة الحميدة، وبهذا نكون قد تأسينا بحديث رسول الله ﷺ الذى يوضح القيمة العظيمة لفضيلة الصدق، حيث يقول ﷺ : إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا » [رواه البخارى].

ونحن الآباء والأمهات يجب علينا أن نتنبه إلى مدى خطورة إعلانات التليفزيون على أخلاقيات أبنائنا، وعلى ما يستخدمونه بعد ذلك فى حياتهم من كلمات وألفاظ وتعبيرات قد توقعهم فى رذيلة الكذب، ويجب أن نتنبه أيضًا إلى تلك الخطورة التى تكمن فى أن إعلانات التليفزيون جذابة وتشد انتباه الكبار والصغار معًا، فهى كالسم فى العسل؛ ومن ثَمَّ فإن توجيهنا لأبنائنا يجب أن يتسم بالذكاء، لكى ندرب أبناءنا على كيفية الاختيار بصورة جيدة، بحيث يمكنهم عن طريق هذا التدريب أن يشاهدوا الإعلانات الجيدة ويتجنبوا الإعلانات السيئة، كذلك يجب أن يتسم توجيهنا لأبنائنا بالمرونة والاستمرارية، وهو أمر يسير على مَن يسَّره الله له.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الصدق فضيلة يمكن عن طريقها أن يحقق المرء فى حياته ما لم يستطع تحقيقه بما سواه، ومن الأمثلة التى يمكن أن نسوقها فى هذا الصدد، أن الإسلام انتشر فى إفريقيا عن

طريق فضيلة الصدق وغيرها من الفضائل الجميلة التى اتسم بها التجار المسلمون الذين ذهبوا إلى هناك، حيث إن شرق إفريقيا لم يدخله الإسلام عن طريق الغزو الحربى، وإنما دخله عن طريق التجّار والدعاة، إذ إن سكان شرق إفريقيا قد رأوا فى هؤلاء التجار نماذج سلوكية وأخلاقية تحتذى، فلقد تعاملوا مع سكان هذه المنطقة معاملة تتسم بالصدق والأمانة والصراحة والسماحة، ولما عرف هؤلاء السكان أن تلك الأخلاق مصدرها الإسلام اعتنقوه عن حب واقتناع.

لذا فإنه يجب على القائمين على أمر الإعلانات فى التليفزيون أن يتحروا الدقة والصدق فيما يبثونه من إعلانات عبر شاشات التليفزيون؛ لكى تصبح هذه الإعلانات من بين العوامل التى تساعد أبناءنا على أن تكون كل حركاتهم وسكناتهم، وكل ما يتفوهون به من ألفاظٍ وكلمات وتعبيرات وَفقًا لما جاء به رسول الله ﷺ.

استخدام اللغة الأجنبية موضة فى حياتنا :

لقد غير التليفزيون كثيراً من أنماط حياتنا وحياة أبنائنا، وذلك عن طريق إعلاناته التى تصب فى آذاننا خليطًا غير متكافئ من اللغات؛ حيث إن اللغات الأجنبية هى الغالبة على معظم الإعلانات، بحيث يشعر المرء أنه لايعيش فى ظل مجتمع لغته هى اللغة العربية وثقافته هى الثقافة الإسلامية.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه حتى بالنسبة إلى الأشخاص الذين يقوم

التليفزيون باستضافتهم فى برامجه، فإنه قد أصابت معظمهم عدوى اللغة الأجنبية، فنسمع أحدهم ينطق كلمة أجنبية بعد كل بضع كلمات عربية قليلة، ليس لأن لغتنا العربية لاتكفى للتعبير عما يريد من معانٍ ومضامين، ولكن الأمر مرتبط بما يمكن أن يسمى بضعف اللغة عند هؤلاء المتحدثين وعدم اعترافهم بلغتهم واحترامهم لها ونحن لاننكر أن هناك كثيراً من المتحدثين الذين يعتزون بلغتهم العربية ويحرصون على استخدامها فى جوانب حياتهم المختلفة، إلا أنهم لايمثلون إلا نسبة ضئيلة إذا ما قورنوا بهؤلاء الذين يتشدقون باللغات الأجنبية بداعٍ أو بدون داعٍ.

لقد صبغت اللغة الأجنبية التى يستخدمها التليفزيون الشارع العربى بصبغة أجنبية غريبة، بحيث يمكن القول: إننا لم نصبح لا عربًا ولا أجانب، فالشارع يموج بالعديد من اللافتات والأسماء الأجنبية التى امتدت لتشمل معظم ما يحتويه، ومنها على سبيل المثال: المحلات والمطاعم التى أصبحت تقدم المأكولات التى تحمل فى معظمها أسماء أجنبية، تبعدنا وتبعد أبناءنا عن لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية.

إن قضية الاعتزاز باللغة العربية، يجب أن تكون هى القضية التى تحظى بجل اهتمامنا، فلقد آن الأوان لكى نؤدب أبناءنا بآدابها، ونصبغ شخصياتهم بالصبغة العربية الإسلامية، ويجب على القائمين على أمر الإعلانات فى التليفزيون أن يعينونا على تلك المهمة الصعبة، انطلاقًا

من أن كل بلاد العالم المتحضرة تعتز بلغتها القومية اعتزازاً كبيراً، ومنها على سبيل المثال الشعب الفرنسي، فلقد ذكر لي كثير من الأصدقاء أنهم حاولوا أكثر من مرة أن يحادثوا بعض السائحين الفرنسيين الذين جاءوا لزيارة المعالم السياحية المصرية، باللغة الإنجليزية، ولكن السائحين الفرنسيين رفضوا تماماً أن يستعملوا لغة أخرى غير لغتهم الفرنسية، ولقد حاول هؤلاء الأصدقاء أن يقنعوا السائحين الفرنسيين بأنهم لايجيدون إلا اللغة الإنجليزية، ولكنهم أصروا على عدم استخدام اللغة الإنجليزية، رغم تأكيد أصدقائنا أنهم - أى السائحين الفرنسيين - يجيدون استخدام اللغة الإنجليزية .

إن إصرار هؤلاء الفرنسيين على عدم التخلى عن لغتهم الفرنسية، إنما يعكس مدى إحساسهم بأهمية تلك اللغة فى تشكيل هويتهم الثقافية، التى تميزهم عن الأمم الأخرى؛ ومن ثَمَّ فنحن أولى من الفرنسيين وغيرهم من الأمم بعملية الاعتزاز بلغتنا العربية، لغة القرآن الكريم، ففى مؤتمر لتعريب العلوم عقد بجامعة الأزهر، يدور حول اللغة العربية كأفضل لغات العالم فى التعبير عن حاجات الإنسان، وقد أرجع الباحث أفضلية اللغة العربية على غيرها من اللغات إلى أنها غنية بألفاظها، وقابلة للنماء، كما أن الاشتقاقات فيها كثيرة، كذلك فإنها تعد لغة قومية؛ لأنها ساهمت فى تكوين شخصية المواطن العربى وهويته وعقله وفكره، كما أنها يمكن التعبير بها عن جميع حاجات الإنسان ؛ حيث إنها قادرة على استيعاب الألفاظ الدخيلة ، بحيث

تصبح رافداً ومصدراً من مصادرها من جهة أخرى، وأرجع الباحث أفضلية اللغة العربية على غيرها من اللغات أيضًا إلى أن الله – سبحانه وتعالى – قد اختارها لغة لكتابه العزيز (القرآن الكريم)، كما أنها هى لغة أهل الجنة، كما جاء فى الأثر؛ وبناء على كل ما سبق فإنه حرى بنا أن نعتز بتلك اللغة التى كرمها الله، عز وجل، وأن نعلِّم أبناءنا كلماتها ومفرداتها ومصطلحاتها وتعبيراتها، وأن نؤدبهم بآدابها، إذكاء لهويتهم العربية وثقافتهم الإسلامية.

إن اهتمامنا بتعليم أبنائنا اللغة العربية الصحيحة، سيؤدى بلا شك إلى تقوية الروابط بين الدول العربية خاصة والدول الإسلامية عامة؛ حيث إن استخدام اللغة العربية الصحيحة سيؤدى إلى سهولة التفاهم بين الدول العربية، وخاصة فى ظل تعدد اللهجات وتنوعها بصورة يصعب معها أن يفهم بعضنا بعضًا، وسيؤدى هذا الاهتمام– أيضًا– إلى سهولة التفاهم بيننا كدول عربية وبين المسلمين فى الدول التى لاتتكلم اللغة العربية، فلقد شاهدت فى أحد البرامج التليفزيونية شابًا من إحدى جمهوريات الكومنولث الإسلامية المستقلة، وقد سألته المذيعة عن مدى فهمه للغة العامية المصرية ؟ وهل من الأفضل من وجهة نظره استخدام اللغة العامية أم اللغة العربية الصحيحة؟ فقال الشاب إن استخدام اللغة العربية الصحيحة جعله أكثر قدرة على الفهم بصورة جيدة وسريعة .

والمقصود باللغة العربية الصحيحة هى تلك اللغة السهلة البسيطة

السمحة، التى يسهل على أبنائنا فهمها واستيعابها واستخدامها فى جميع جوانب حياتهم؛ ومن ثَمَّ فإنها تعمل على ربط هؤلاء الأبناء ببيئتهم وثقافتهم الإسلامية، وتقوى هويتهم فى زمن تلاشت فيه هويات كثير من الشعوب.

لغة التليفزيون:

وإذا كان للتليفزيون جوانبه الإيجابية المتمثلة فى بعض البرامج والإعلانات التى تستخدم اللغة العربية الصحيحة، والتى يعمل من خلالها على ربط أبنائنا بلغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية، فإن له أيضًا كثيرًا من الجوانب السلبية الخطيرة التى يتمثل خطرها فى ضررين أساسيين :

الأول : أن التليفزيون يعتمد فى عرضه لبعض إعلاناته على اللغة الأجنبية؛ مما يمكن أن يوحى لنا ولأبنائنا بأن بلدنا لاينتج شيئًا، وأن كل المنتجات التى يتم الإعلان عنها هى منتجات مستوردة، مع أن معظم الأسماء الأجنبية التى يستخدمها التليفزيون فى إعلاناته هذه، إنما تعبر عن منتجات محلية كالبطاطس مثلا .

أما الثانى : فيتمثل فى أن بعض الإعلانات التى يتم عرضها على شاشة التليفزيون هى فى معظمها إعلانات تفتقد المصداقية، بحيث يتعلم أبناؤنا شيئًا فشيئًا أساليب الخداع والمكر والكذب، بحيث تصبح جزءًا من شخصياتهم فى المستقبل

وإذا كان التليفزيون يساعد على إيجاد تلك الفجوة بين أبنائنا وبين لغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية، وذلك من خلال تقديمه لمثل تلك الإعلانات ، فإن هناك أمراً مهما لايقل خطورة عن تلك الإعلانات، ونقصد به تلك اللغة التى يتحدث بها بعض مذيعى ومذيعات التليفزيون، إنهم لايستخدمون اللغة العربية الصحيحة، ولكنهم يستخدمون لغة ضحلة؛ ومن ثَمَّ فإنهم يسهمون - بقصد أو بدون قصد - فى إيجاد فجوة متسعة بين أبنائنا وبين تحقيقهم لهويتهم التى يعتزُّون بها فى مستقبل حياتهم، تلك الهوية التى ينبغى أن تكون نابعة من لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية .

ويمكن لمن يشاهد برامج التليفزيون، سواء برامج الكبار أو الصغار، أن يجد كثيراً من البرامج الجيدة، التى تم الإعداد لها بعناية كبيرة، كما أنه سيجد أيضًا كثيراً من المذيعين والمذيعات الأكفاء، الذين يُقدِّمون برامجهم بطريقة مشوقة محبَّبة إلى النفس، وبلغة صحيحة بسيطة، يستطيع الكبار والصغار استيعابها وهضمها، غير أنه فى المقابل يوجد بعض المذيعين والمذيعات الذين لايحرصون على استخدام اللغة العربية الصحيحة فى تعاملهم مع أبنائنا، بل إن كل ما يستخدمونه هو لغة عامية ضعيفة المستوى، ناهيك عن تطعيم هذه اللغة العامية بكثير من الكلمات الأجنبية، فهاهى مذيعة تعرض على الأطفال بعض الصور، وتطلب منهم التعرف على تلك الصور، ثم تسأل أحدهم: صورة أى شىء هذه؟ فيرد الطفل : إنها صورة كلب،

فتعقب المذيعة : نعم إنه (دوج)، وهكذا يتم استخدام الكلمات الأجنبية بمناسبة وبدون مناسبة .

وفى برامج المسابقات التى تُقدم للأطفال، تجد بعض المذيعات يقمن بتوجيه الأسئلة إلى المتسابق، فيقوم المتسابق - وهو غالبًا طفل صغير - بالإجابة على الأسئلة على وجه سليم صحيح، بل إنه أحيانًا يقدم إجابة تفصيلية نموذجية للسؤال ، ولكن المذيعة لاتحتسب له الدرجة الكاملة، بل إنها قد تحتسب له نصف الدرجة فقط، وذلك لأن الإجابة التى أوردها المتسابق ، رغم صحتها وسلامتها ووفرتها، لم ترد فى الورقة التى أعدتها المذيعة ، وهذا بطبيعة الحال يؤدى إلى نوع من الإحباط للمتسابق ، ولمن يشاهد هذا البرنامج، وذلك لإحساسه بأنه لاجدوى من القراءة والاطلاع وبذل الجهد للحصول على المعلومات، طالما كانت عملية تقويم الأطفال المتسابقين خلال هذه البرامج لاتعتمد على أسس علمية وتربوية ثابتة، وإنما تخضع للحالة المزاجية للمذيع أو المذيعة التى تقدم البرامج، دون مراعاة للآثار النفسية السيئة التى يمكن أن تنتج عن مثل تلك الطريقة التى يتم استخدامها مع أبنائنا .

وإذا كان هذا هو حال مذيعى ومذيعات التليفزيون وحال لغتهم التى يستخدمونها فى تعاملهم مع أبنائنا، فماذا عن لغة أفلام الكارتون؟ تلك الأفلام التى يتهافت عليها الصغار والكبار أيضًا، وما مدى قربها أو بعدها عن لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية؟ ومن ثَمَّ ما

هو الدور الذى يمكن أن تقوم به تلك الأفلام فى تشكيل الهوية الثقافية لأبنائنا الصغار ؟

لاشك فى أن التليفزيون والقائمين على أمر أفلام الكارتون يبذلون كثيراً من الجهد فى سبيل إنتاج أفلام جيدة، ولقد أثمرت هذه الجهود بالفعل عدداً لابأس به من الأفلام الجيدة، التى تقدم لأبنائنا لغتهم العربية بطريقة صحيحة مبسطة، كما أنها تؤدى إلى إكسابهم كثيراً من القيم الخلقية المشتقة من ثقافتنا الإسلامية . غير أن هذه الأفلام الجيدة لاتزال فى حاجة إلى بذل مزيد من الجهد، فعددها لايزال قليلا إذا ما قورنت بأفلام الكارتون التى تؤثر تأثيراً سلبيًا على أبنائنا وعلى ما يكتسبونه من كلمات وألفاظ وتعبيرات، ومن بينها أفلام الكارتون الناطقة باللغة الأجنبية، التى تنتمى إلى ثقافات غريبة علينا وعلى أبنائنا؛ وبالتالى فإن مثل تلك الأفلام تنطوى على خطر عظيم، فهى أولا : تعمل على إيجاد فجوة كبيرة بين أبنائنا وبين لغتهم العربية، وثانيًا : فإن تلك الأفلام تعبر عن أنماط من الحياة والثقافات المشتقة من مجتمعات أخرى تختلف تمامًا عن مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ومن ثَمَّ فإن تلك الأفلام تعمل على تنشئة أبناء غرباء فى مجتمعهم، وغرباء عن لغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية، وثمة خطر آخر يكمن فى تلك الأفلام وهو أنها أفلام جذابة وجيدة، وذلك من حيث الموضوعات التى تقدمها، أو من حيث صناعتها، ومن ثَمَّ فإن خطرها سوف يشمل ملايين الأطفال، بل والكبار أيضًا .

وهناك أفلام الكارتون الناطقة باللغة العامية، التى يتم إنتاجها محليًّا، فكثير من تلك الأفلام ليست جيدة، سواء من حيث لغتها، أو من حيث الموضوعات التى تقدمها ، أو من حيث صنعتها؛ ومن ثَمَّ فإن عدم جودتها تجعل أبناءنا ينصرفون عنها، وحتى لو افترضنا أن هناك نسبة غير قليلة من الأطفال يشاهدونها، فإن رداءة اللغة المستخدمة، واشتمالها على كثير من الكلمات والألفاظ والأسماء والتعبيرات، التى هى فى حقيقة الأمر خليط من العامية واللغات الأجنبية . تجعل لتلك النوعية من الأفلام آثاراً خطيرة على أبنائنا؛ لأنهم سوف يكتسبون تلك الكلمات والألفاظ والتعبيرات العامية والأجنبية، وشيئًا فشيئًا تصبح جزءاً من شخصياتهم، ويصبح من العسير عليهم أن يتخلصوا منها، ومن ثَمَّ فإنها ستحول – دون شك – بينهم وبين لغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية، لذا فإنه يجب على القائمين على أمر هذه الأفلام فى التليفزيون أن يعيدوا النظر فيما يقدمونه منها إلى أبنائنا، كما أنه يجب عليهم أن يحرصوا كل الحرص على أن تكون كل الأفلام المقدمة ناطقة بلغة عربية صحيحة، لكى يتمكن أبناؤنا من إتقان لغتهم واستيعاب ثقافتهم العربية الإسلامية؛ ومن ثَمَّ تصبح تلك الأفلام من عوامل ربط الأبناء ببيئتهم ومجتمعهم العربى .

وإذا كان كل ما سبق يتعلق بما يبثه التليفزيون على شاشته من أفلام كارتون، إما ناطقة باللغة الأجنبية، وإما ناطقة باللغة العامية، وإما

ناطقة باللغة العربية الصحيحة - وهى قليلة للغاية - فإن هناك مصدرين آخرين أشد خطورة على أبنائنا ، بل علينا نحن الكبار أيضًا، ونقصد بهذين المصدرين: البرامج الأجنبية الموجهة للأطفال، والمواد التى تستقبلها الأطباق الهوائية (الدش) .

فبالنسبة للبرامج الأجنبية الموجهة للأطفال، نجد أنه يتم من خلالها عرض بعض أفلام الكارتون الناطقة باللغات الأجنبية، وهى فى جملتها أفلام جيدة فى صنعتها وفى موضوعاتها، إلا أنها تحتاج إلى بذل كثير من الجهد من قبل المسئولين فى التليفزيون ؛ لكى يتمكنوا من انتقاء ما يتمشى منها مع قيمنا وأخلاقنا ، حيث إن مثل تلك النوعية من الأفلام تم إنتاجها فى ظل ثقافات مغايرة تمامًا لثقافتنا الإسلامية؛ وبالتالى فإن الأضرار الناتجة عنها - والتى يصبح أبناؤنا هدفًا مباشرًا لها - أكبر من نفعها بلا شك .

أما بالنسبة لأجهزة الأطباق الهوائية (الدش) فإن خطرها بدون شك سيكون أكبر حجمًا بالنسبة إلى الصغار والكبار معًا؛ وذلك لأن تلك الأجهزة تستقبل مادتها وبرامجها من جميع دول العالم، دون أن تمر على القائمين على أمر التليفزيون العربى وأجهزة رقابته، ومن ثَمَّ فإنها تمثل الخطر بعينه، إذ إنها تنقل إلينا حياة المجتمعات الأخرى وثقافاتها بكل ما فيها من إيجابيات وسلبيات، وما أكثر هذه السلبيات، وما أشدَّ تعارضِها مع ثقافتنا الإسلامية، وما أشدَّ خطرها على أبنائنا وعلى شخصياتهم.

إن الأمر إذن جدٌّ خطير، ويستلزم أن نقف كلنا - آباء وأمهات وأجهزة إعلام - وقفة جادة، لكى نجنب أبناءنا كل تلك الأخطار التى يمكن أن يتعرضوا لها من جراء أجهزة الأطباق الهوائية (الدش) ، ونظراً لأن هذه الأجهزة ستجعلنا نحن وأبناءنا معرضين للثقافات الأجنبية - بحلوها ومرها - شئنا أم أبينا، لذا فإنه يجب علينا أن نعلم أبناءنا كيفية الانتقاء الجيد مما يُعرَض عليهم من برامج تليفزيونية وأفلام كارتون، كما أنه يجب علينا أن نعوِّدهم على المشاهدة الذكية لما يعرضه الدش من برامج وأفلام كارتون، بحيث تصبح لديهم القدرة على أن يتخذوا من عقيدتهم وقيمهم الخلقية والاجتماعية معياراً يحكمون من خلاله على مدى جودة أو رداءة ما يُعرَض عليهم (فى الفضائيات) من برامج وأفلام كارتون، وفى هذا الصدد فإنه يجب على المسئولين عن التليفزيون فى مجتمعنا أن يقفوا إلى جانبنا فى تلك المهمة الصعبة، فلا يعرضون على أبنائنا إلا البرامج والأفلام التى من شأنها أن تساعدهم على تكوين القدرة على الاختيار الجيد مما تعرضه عليهم أجهزة الأطباق الهوائية .



الفصل الرابع

مسن ومستر في المدرسة

يُمكن النظر إلى المدرسة باعتبارها المؤسسة التى أوجدها المجتمع، لكى تحقق له أهدافه التى يريد الوصول إليها، وذلك من خلال قدرتها على إعداد الفرد الذى يتسم بشخصية متميزة وهوية متفردة، بحيث يستطيع أن يُسهم فيما بعد فى تحقيق الأهداف المجتمعية. فالمدرسة بما يسودها من مناخ وعلاقات، وما تستخدمه من لغة، تؤثر فى شخصية الفرد سلبًا أو إيجابًا، فكلما كان المناخ السائد فى المدرسة مناخًا تربويًا صحيًا، وكانت العلاقات السائدة بها علاقاتٍ إنسانيةً، وكانت اللغة المستخدمة بها هى لغة المجتمع الذى توجد به تلك المدرسة والتى تعبر عن ثقافته؛ كانت هذه المدرسة قادرةً بالفعل على إعداد الفرد ذى الشخصية المتميزة، المرتبطة ببيئته ومجتمعه، من خلال لغته التى يتحدثها وثقافته التى يترجمها بسلوكه وعمله وفكره، والتى هى بالفعل لغة مجتمعه وثقافته. أى أن المدرسة من هذا المنطلق تُعدُّ من أقوى العوامل التى تعمل على ربط الفرد ببيئته ومجتمعه، من خلال تبنيها للغة المجتمع - الذى يعيش فيه ذلك الفرد - وثقافته، وبمعنًى آخر فإن المدرسة تستطيع إذا ما قامت بتربية الأفراد وتأديبهم من خلال لغتهم القومية وثقافتهم المحلية، أن تُحدِث نوعًا من الألفة بين هؤلاء

الأفراد ومجتمعهم الذى يعيشون فيه.

بماذا ننادى المعلم والمعلمة ؟

يَعْجَب المرء عندما يدخل إحدى المدارس فى مجتمعنا اليوم، حيث إنه سيجد أن أبناءنا داخل هذه المدارس، ينادون معلميهم ومعلماتهم بـ (مستر ومس)، فلقد لاحظت ذلك خلال وجودى فى حجرة من حجرات الدراسة داخل إحدى المدارس، فعندما كانت المعلمة توجه بعض الأسئلة إلى تلاميذها، كان كل التلاميذ - بدون استثناء - ينادون المعلمة (مِسْ مِسْ) وتصورت أننى فى إحدى المدارس الأجنبية، ولكننى سألت وتأكدت أننى فى مدرسة حكومية.

ولقد أكد لى بعض الزملاء أن نسبة كبيرة من مدارسنا أصبحت المعلمة فيها تُنادَى بلفظ (مِسْ) والمعلم فيها ينادَى بلفظ (مستر) ويمكن لنا أن نتساءل : هل نحن حقا نعيش فى مجتمع عربى إسلامى ؟

وإذا كنا نعيش فى مجتمع عربى إسلامى، أفلا يجدر بنا أن نُرَبِّىَ أبناءنا ونؤدبهم من خلال لغتنا العربية، لكى لايستخدموا تلك الأسماء الأجنبية فى مناداتهم لمعلميهم ومعلماتهم؟ إنه لاينبغى أن نطلق على المعلمين فى مدارسنا هذه الأسماء الأجنبية، حيث إنهم هم الذين يناط بهم القيام بربط أبنائنا بلغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية ربطًا وثيقًا. وإذا كان الأمر كذلك - بمعنى أن المعلمة هى (مسْ)


هر
مس
مستر
مسيو
سير

والمعلم هو (مستر) فإننا لانتوقع من هؤلاء المعلمين أن يقوموا بدور فعال فى تربية الهوية والثقافة العربية الإسلامية لأبنائنا، بل يصبح دور مثل هؤلاء المعلمين أقرب إلى التغريب منه إلى التعريف .

وإذا كان المعلم والمعلمة ينادون بـ (مستر، ومس) فى معظم المدارس الحكومية، فإننا نجد فى مدارس اللغات أسماء أخرى يتم مناداتهم بها، وذلك حسب نوعية اللغة السائدة فى المدرسة، ففى مدارس اللغات الفرنسية، تصبح المعلمة (سير) - أخت بالفرنسية - ويصبح المعلم (مسيو) وفى مدارس اللغات الألمانية، تنادى المعلمة باسم (فراو) وينادى المعلم باسم (هر)، وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على مدى تمسُّك القائمين على هذه المدارس باللغة والثقافة التى تنتمى إليها المدرسة، ويدل على مدى حرصهم على تربية الأبناء وتأديبهم من خلال لغتهم وثقافتهم، حتى وإن كان هؤلاء الأبناء لايحملون جنسية بلدهم،، أما نحن فإننا بدون شك أقل تمسُّكًا بلغتنا وثقافتنا من هؤلاء، وأقل حرصًا منهم على تربية أبنائنا وتأديبهم من خلال لغتنا وثقافتنا، على الرغم من أنهم أبناؤنا وأن تربيتهم وتأديبهم من خلال اللغة العربية والثقافة الإسلامية أمر يجب أن نتمسك به جميعًا .

ويبرز هنا سؤال على قدر كبير من الأهمية، وهو بماذا نتادى المعلم والمعلمة فى المدرسة؟ هل يمكن أن ننادى المعلمة بكلمة (أبله) بتفخيم الباء واللام؛ حيث ظلت المعلمة تنادى بها عشرات السنين،

وهى ما تربينا عليه ونشأنا ننادى معلماتنا بها، على الرغم من أن هذا اللفظ (أبله) ليس لفظًا عربيًّا، بل إنه لفظ تركى أم أنه من الأفضل أن ننادى معلمينا بأسماء عربية، فنقول للمعلم: (أستاذ) وتكون المعلمة (أستاذة) ،لاشك فى أن ذلك هو الأفضل؛ لأن فيه عودةً إلى لغتنا العربية الجميلة، وفيه أيضًا عودة إلى بعض المفردات العربية التى هجرناها لفترة طويلة، بحيث أصبحت غريبة علينا وعلى أبنائنا، ومن ثَمَّ تصبح العودة إلى تلك المفردات واجبةً علينا جميعًا، لكى نؤكد للشعوب الأخرى أننا ما زلنا نعتزُّ بلغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية .

لغة المعلمين :

التعليم رسالة سامية، تهدُف إلى الارتقاء بحياة البشر، ولذلك فإن مستقبل أى مجتمع من المجتمعات مرهون بمستوى التعليم فيه، ومرهون بالجهود التى تُبذَل فى سبيل تطوير التعليم ورفع مستواه؛ ومن ثَمَّ فإن المعلم يكتسب أهميته من تلك الرسالة السامية التى يقوم بأدائها، باعتباره يقع فى مقام القدوة بالنسبة إلى الأجيال التى يقوم بتعليمها وتربيتها ،ومن هنا فإن مستقبل المجتمع مرهون بمستوى اللغة الخلقية والعلمية لتلك القدوة.

وبنظرة فاحصة إلى المعلمين فى مدارسنا، وإلى اللغة التى يستخدمونها مع أبنائنا، باعتبارهم قدوة خلقية وعلمية، نلاحظ أن هناك كثيراً من المعلمين الذين يمكن اعتبارهم -بحق- قدوة حسنة

لأبنائنا من الناحيتين الخلقية والعلمية، الأمر الذى يجعلنا مطمئنين على مستقبل أبنائنا بين أيدى هؤلاء المعلمين، غير أنه فى المقابل نجد أن هناك كثيراً من المعلمين الذين أصبحت لغتهم الخلقية التى يستخدمونها مع أبنائنا لغة رديئة؛ مما يجعلنا نخشى على أبنائنا من أن يكتسبوا تلك اللغة، فمن الممكن عند زيارتك لأى مدرسة من مدارسنا أن تجد عدداً غير قليل من معلمينا يقومون - بدون تحرُّج- بسب تلاميذهم بشتى أنواع السباب والشتائم، ومن ثَمَّ فإنه يمكن وصف مثل أولئك المعلمين بأنهم قدوة ليست فوق مستوى الشبهات لأبنائنا داخل حجرات الدراسة وخارجها.

وإذا كان هذا هو حال المعلمين كقدوة خلقية ليست حسنة لتلاميذهم ، الذين هم أولا وأخيراً أبناؤنا، فماذا عن حال لغتهم العلمية مع أبنائنا، باعتبارهم قدوة علمية لهؤلاء الأبناء، وهل وضعهم العلمى أفضل من وضعهم الخلقى؟ إن الواقع يشير إلى أن هناك كثيراً من المعلمين والمعلمات ، الذين يمكن أن نطلق عليهم بكل ثقة واطمئنان صفة العلماء، وذلك لما يتمتعون به من غزارة علم وسعة أفق، وإلمام بكل جديد ومستحدث فى مجال تخصصاتهم، بحيث يصبحون قدوة علمية حسنة لأبنائنا، وإذا كان هذا هو مستوى كثير من المعلمين علميا، فإنه يلاحظ أن هناك نسبة ليست بالقليلة منهم قد انحدر مستواهم العلمى بصورة تدعو إلى الانزعاج، فالمستوى العلمى للمعلمين،بل لمعظم خريجى الجامعات وبعض أعضاء هيئة التدريس

بالجامعات، حاليا قد أصبح فى حالة تدعو إلى القلق، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، فلقد سمعت من إحدى طالبات التعليم الثانوى، كيف أن مُدرسة علم النفس، عاجزة تمامًا عن شرح المقرر وتوصيله إلى أذهان الطالبات، وكان دور تلك المعلمة يقتصر على تكليف بعض الطالبات باستذكار (تحضير) الدرس فى المنزل، وعندما تبدأ الحصة الدراسية، تقوم المعلمة باستدعاء الطالبات للوقوف أمام السبورة، ثم تقوم كل طالبة بسرد ما حفظته من الدرس، وهكذا حتى تنتهى الطالبات من سرد الدرس، وليس شرحه وتوضيحه - وما على المعلمة إلا التعقيب - مجرد التعقيب - على كلام الطالبات ، بغض النظر عن مدى فهم الطالبات للدرس أو عدم فهمهن له.

لقد أصبح انخفاض المستوى العلمى للمعلمين ظاهرةً تكاد تكون منتشرةً فى كثير من مدارسنا، فخلال مؤتمر (تطوير مناهج التربية الدينية الإسلامية فى التعليم العام بالوطن العربى) الذى عقدته رابطة الجامعات الإسلامية بجامعة الأزهر بالقاهرة، قال أحد الحاضرين خلال تعقيبه على تطوير عملية إعداد وتدريب المعلم: إن أحد التلاميذ سأل معلمته عن الحكمة من التكرار فى قول الله عز وجل : ﴿ فإن مع العسر يسرًا إن مع العسر يسرًا ﴾ [الشرح: ٥، ٦]، فكانت إجابة المعلمة أنه ليس هناك تكرار أو شيء من هذا القبيل، وأن الأمر لايعدو أن يكون غلطة مطبعية، هكذا أصبح مستوى بعض معلماتنا؛ لذا فإنه قد أصبح من حقنا كأولياء أمور للتلاميذ أن نخشى عليهم من تلك

المستويات العلمية المتدنية، والتى تعمل على إيجاد هوة كبيرة بين أبنائنا وبين لغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية. إن مثل تلك النوعية من المعلمين تُسْهِم بدون شك - بقصد أو بدون قصد - مع المثلث الذى أشرنا إليه من قبل - المنزل والشارع والتليفزيون - فى ضياع الهوية الثقافية لأبنائنا الصغار؛ ومن ثَمَّ ضياع لغة المجتمع وهويته الثقافية، فى ظل نظام عالمى جديد،تنشأ فيه دول وتتلاشى فيه أخرى من فوق الخريطة السياسية؛ ولذا تصبح عملية المحافظة على اللغة والهوية القومية هى الشغل الشاغل للمجتمع بجميع مؤسساته وأفراده، ومنهم بطبيعة الحال المعلمون.

إذن فالأمر فى حاجة ماسة إلى ضرورة النظر فى عملية إعداد المعلم وتدريبه؛ لكى نرتفع بمستوى معلمينًا علميًّا وخلقيا، بحيث يصبح علمهم وخلقهم مدعاة لاطمئناننا على مستقبل أبنائنا بين أيديهم، بدلا من أن يدفعنا المستوى العلمى والخلقى الحالى لكثير من المعلمين فى مدارسنا أن نقول فى مرارة : رحم الله «شوقى» حين قال :

قُمْ للمعلِّم وَفِّه التبجيلا   كاد المعلِّمُ أن يكونَ رسولا

أرأيتَ أعظمَ أو أجلَّ من الذى   يَبْنِى ويُنْشِئ أنفسًا وعقولا

فليكن للمعلمين فى مدارسنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فلقد كان ولايزال هو المعلم الأول للبشرية، وكانت زوجاته (أمهات المؤمنين) معلمات فقيهات، فهاهى السيدة «عائشة» - رضى الله

تعالى عنها - تروى كثيراً من أحاديث الرسول ﷺ، وتُعلِّم المسلمين كثيراً من أمور دينهم.

أما آن للمعلمين عامة وللمعلمات خاصة أن يَتَّخِذن من السيدة «عائشة» -رضى الله عنها- مثالا يُحتذَى فى العلم والخُلُق؛ وذلك لكى يتمكَّنوا من إعداد جيل صالح، بحيث تُبنَى عملية الإعداد هذه على ركيزتَيْنِ أساسيتين هما: العلم والأخلاق، وبحيث يعمل المعلمون خلال عملية الإعداد هذه على ربط أبنائنا بلغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية.

لغة التعامل فى المدرسة:

يمكن النظر إلى المدرسة باعتبارها بيئة يتم من خلالها تحقيق الأهداف التى رسمها المجتمع لنفسه، وكلما توافرت لتلك البيئة كل عوامل النجاح والجودة، استطاعت أن تقدم للمجتمع مخرجات جيدة قادرة على بنائه وتحقيق تقدمه ورقيه، **﴿والبلدِ الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا﴾** [الأعراف: ٥٨]، فكلما كانت البيئة طيبة، كان نبتها ونباتها طيباً حسناً، فلقد كانت المدرسة الأولى التى توافرت لها كل عوامل النجاح والجودة، هى دار «الأرقم بن أبى الأرقم» حيث جلس فيها رسول الله ﷺ معلماً ومربياً؛ حيث ساد فيها كل جميل وطيب من الأسماء والألفاظ والتعبيرات، لذا فقد خرَّجت تلك المدرسة رجالا استطاعوا أن يشيدوا دولة متكاملة

الأركان فى فترة وجيزة .

ولعله من المنطقى هنا أن نسأل أنفسنا عن الواقع الحالى لبيئة المدرسة، وعن لغة التعامل ومناخه فى هذه البيئة، وعن مدى مساهمة تلك البيئة واللغة المستخدمة بها فى ربط أبنائنا بلغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية.

إن الواقع يشير إلى أن نسبة ليست بالقليلة من مدارسنا ، يسودها مناخ طيب، وتسودها علاقات الود والألفة، بحيث يؤدى ذلك إلى تكاتف كل من يعملون داخل المدرسة، وبذلهم مزيداً من الجهد لتحقيق أهداف المدرسة والمجتمع، غير أنه يوجد فى المقابل كثير من المدارس التى تسودها لغة غريبة علينا وعلى ثقافتنا الإسلامية، ففى كل مدرسة من مدارسنا - ابتدائية أم إعدادية أم ثانوية - تجد نسبة ليست قليلة من المعلمين تداهن مدير المدرسة، بغية تحقيق الأهداف والمصالح الشخصية، بل إن الأمر يصل ببعض المعلمين إلى أن يحيكوا الدسائس لزملائهم عند مدير المدرسة، وذلك لكى ينالوا الحظوة لديه، ولكى يتمكنوا من تحقيق مآربهم الشخصية، ومن ثَمَّ فإن بيئة المدرسة انطلاقًا من كل ما سبق، قد أصبحت بيئة غير صالحة لإعداد الفرد الذى يمكن أن يشارك بإيجابية فى رقى وتقدم مجتمعه؛ إذ إن مثل تلك البيئة بما يسودها من مناخ سلوكى غير قويم سوف تقضى على كل جهود النجاح والإبداع بين تلاميذها .

وانطلاقًا من ذلك المناخ وتلك اللغة السلوكية السائدة فى كثير من

مدارسنا، أصبحت جهود معظم المعلمين تنصرف إلى الاهتمام بالمظهر دون الجوهر؛ حيث أصبح الاهتمام ينصب غالبًا على تزيين حجرة الدراسة، والاستعانة بعدد كبير من وسائل الإيضاح دون استخدام فعال لها، وإنما فقط ليراها الموجهون والزائرون الذين يفدون إلى المدرسة، كذلك أصبح هؤلاء المعلمون يستعينون بدفاتر للغياب ولتقويم الطلاب تتسم بالزيف والبعد عن الواقعية، وفى ضوء كل تلك العوامل تبتعد المدرسة - بكل من فيها وما فيها - عن تحقيق أهدافها ورسالتها السامية، التى تتمثل فى إعداد الفرد إعدادًا جيدًا من جميع جوانب شخصيته، لكى يصبح قادرًا على تحقيق الأهداف المجتمعية الحالية والمستقبلية.

وإذا كانت المدرسة بما فيها من معلمين، الذين هم فى مقام القدوة، لأبنائنا لايحرصون كل الحرص على الصدق والصراحة فى تعاملهم مع رؤسائهم، فكيف نطمئن على أن يتولى مثل هؤلاء تربية أبنائنا وتأديبهم فى ظل مناخ سلوكى ملوث؟ وكيف نضمن ألا تنتقل إلى أبنائنا تلك الصفة الذميمة - صفة المداهنة والنفاق - التى يحثنا ديننا الحنيف على ضرورة الابتعاد عنها؟ حيث يقول رسول الله ﷺ : «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن، كانت فيه خصلةٌ من النِّفاق حتى يَدَعَها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غَدَر، وإذا خاصم فَجَر» [رواه البخارى].

فهل آن لمعلمينا ومعلماتنا أن يتأسوا بهدى رسول الله ﷺ وأن

يعلموا حق العلم أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن صفة النفاق لايمكن أن تؤدى إلى خير أبداً ؟ إنهم عندما يلتزمون بذلك، نستطيع أن نقرر بثقة أنهم سوف يربون أبناءنا ويؤدبونهم من خلال لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية .

أيضًا فإن التزام المعلمين بالهدى النبوى الشريف فى تعاملهم مع رؤسائهم ومع تلاميذهم داخل المدرسة، سيؤدى إلى إيجاد حلول لكثيرمن المشكلات التى يعانى منها الآباء والأمهات، ونقصد بها الدروس الخصوصية ومجموعات التقوية، حيث إن نسبة كبيرة من المعلمين لايقومون بعملهم على الوجه الأكمل، وذلك لكى تكون الفرصة مواتية لإعطاء الدروس الخصوصية ومجموعات التقوية، ويلاحظ أن عملية الصراع تشتد بين المعلمين فى سبيل الحصول على أكبر عدد من التلاميذ فى مجموعة التقوية أو الدرس الخصوصى، وهم يستخدمون فى صراعهم هذا بعض الأسماء والتعبيرات الغريبة، فنجد أحدهم يسأل الآخر (عندك كام راس) فهى يتعاملون مع أبنائنا وكأنهم رؤوس ماشية أو أغنام، أما آن لهؤلاء المعلمين – وهم لايمثلون نسبة كبيرة من جمهور المعلمين – أن يثوبوا إلى رشدهم، وأن يعلموا علم اليقين أنه لاحيلة فى الرزق ولا شفاعة فى الموت؟

الفصل الخامس

ومازال هناك أمل

إذا كان الهدف الأساسي من هذا الكتاب - كما سبق أن ذكرنا- هو الدعوة الجادة والمخلصة إلى أن تتضافر كل الجهود، سواء داخل المنزل أو فى الشارع أو من قبل العاملين فى التليفزيون أو فى المدرسة؛ من أجل أن ينشأ أبناؤنا على التحدث بلغتهم العربية الصحيحة، بحيث تصبح تلك اللغة هى وعاء فكرهم، ومن ثَمَّ ينشئون وقد ارتبطوا بلغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية، وتجدر الإشارة إلى أنه توجد فى مجتمعاتنا العربية بعض الجوانب الإيجابية فى هذا الصدد، غير أنها لاتزال فى حاجة إلى تدعيم.

وخلال السطور التالية يتم تأكيد هذه الإيجابيات، ومحاولة توجيه الآباء والأمهات إلى ضرورة التمسك بلغتهم العربية الصحيحة فى تعاملهم مع أبنائهم، لكى يصبح هؤلاء الأبناء أكثر ارتباطًا بوطنهم وأكثر سعيًا لتحقيق تقدمه ورفعة شأنه.

اللغة العربية الصحيحة تعود من جديد :

إن المنطلق الرئيسى لحرصنا على ضرورة التحدث بلغة عربية صحيحة سهلة هو أن يتحدث العرب جميعًا لغة واحدة؛ ومن ثَمَّ يزيد

فهمهم لبعضهم، فتقوى الروابط فيما بين الشعوب العربية؛ حيث إن اختلاف اللهجات والأسماء والتعبيرات فيما بين الشعوب العربية أدى إلى وجود نوع من العزلة فيما بينها .

ولقد أدى اختلاف هذه اللهجات فى الماضى إلى وجود كثير من المشكلات والنزاعات، فقد جاء فى التراث العربى أن رجلا من قريش ذهب فى رحلة إلى «ظفار» اليمن لزيارة أحد ملوك حِمْيَر، ولما وصل القرشى إلى هناك توجه إلى قصر الملك، وكان قصر الملك مشيداً فوق ربوة عالية، ولما وصل القرشى إلى قصر الملك استقبله استقبالا حسناً، ورحب به ترحيباً كبيراً، ثم إنهما خرجا معًا يتجولان فى حديقة القصر التى كانت تقع على حافة الربوة، وبعد أن انتهى الملك وضيفه من التجوال فى الحديقة، أشار الملك إلى القرشى بقوله: ثب، أى اجلس (بلهجة الحميريين) ولكنها تعنى: (اقْفِزْ) بلهجة قريش فما كان من الرجل القرشى إلا أن قفز من فوقِ الربوة، استجابة لأوامر ملك حمير، فلقى مصرعه على الفور، فبُهِتَ الملك مما حدث وحزن حزنًا شديداً لما أصاب الرجل القرشى، وقال كلامًا أصبح مثلا يتناقله الناس جيلا بعد جيل (من زار ظفار حَمَّر)، أى أن الذى يزور ظفار يجب عليه أن يتقن لهجة حمير.

إن الواقع العربى يشير إلى أن هناك صحوة لغوية عربية، فهناك كثيرون – وخاصة من الشباب – يحرصون على استخدام اللغة العربية الصحيُحة فى جميع جوانب حياتهم، حيث إنك يمكن أن تجد نسبة

ليست بالقليلة تجيد التحدث باللغة العربية الصحيحة، وهى نسبة تبشر بالخير الكثير، الذى يمكن أن نشهده فى المستقبل، إذ إن هؤلاء المتحدثين بلغة عربية صحيحة، سيعملون بدون شك على تنشئة أبنائهم وتلاميذهم من خلال تلك اللغة العربية الصحيحة، ومن ثَمَّ سيعملون على زيادة ارتباطهم بثقافتهم العربية الإسلامية.

وانطلاقًا من أن اللغة هى بنت المحاكاة، بمعنى أن الطفل الصغير ينطق ما يسمعه من والديه وممن هم حوله، لذا فإننا كلما زاد ارتباطنا بلغتنا العربية الصحيحة، وكلما زاد استخدامنا لها مع أبنائنا، شب هؤلاء الأبناء مستخدمين تلك اللغة بسهولة ويسر، ولننظر كيف كان العرب الأقدمون يعلِّمون أبناءهم كيف يتحدثون بلغة عربية صحيحة ،فها هو رجل عربى يجلس تحت شجرة بعد أن أنهكه التعب من جراء رعيه لأغنامه، فتجىء إليه ابنته الصغيرة وتخاطبه قائلة : ما أجملُ السماء ياأبتاه، فيجيب الأب : نجومها، فتقول الصغيرة : إنما قصدتُ التعجبَ، لا الاستفهام، فيقول الأب : إذن قولى ما أجْمَلَ السماءَ، وهكذا لَفَت هذا الرجلُ نظر ابنته الصغيرة – بأسلوب سهل بسيط إلى ضرورة التحدُّث بلغة عربية صحيحة، لذا فإنه يجب علينا أن ننهج مثل هذا النهج فى تعاملنا مع أبنائنا؛ حتى يشبوا وقد تعلَّموا كيفية التحدث بلغة عربية سليمة.

إن هناك كثيرًا من الأمثلة على وجود صحوة لغوية عربية، فلقد شاهدت طفلة صغيرة فى التليفزيون ، خلال احتفالاته بيوم الطفولة،

تتحدث بلغة عربية صحيحة، تميزت باللباقة وغزارة المعلومات وحسن التصرف، مما جعلها تستحوذ على إعجاب كثير من الحاضرين والمشاهدين، كذلك شاهدت برنامجًا تليفزيونيا مسجلًا مع بعض الأطفال في الريف، وكانت المذيعة تتحاور مع هؤلاء الأطفال عن آمالهم وأمنياتهم في المستقبل، كان من بين هؤلاء الأطفال طفل صغير، حرص على أن يتحدث مع المذيعة بلغة عربية صحيحة.

إن كل هذا يدل على أن هناك في مجتمعنا نماذج جيدة، تربت تربية عربية، وأُدِّبت أدبًا إسلاميًا، وهذا يعني أن آباء هذه النماذج ومعلميهم قد بذلوا معهم جهداً كبيراً في سبيل تنشئتهم تلك التنشئة الكريمة .

ومما سبق يمكن القول بأن اللغة العربية الصحيحة قد بدأت تعود إلينا، وذلك من خلال انتشارها بين كثير من الشباب والأطفال الصغار، مما يحمل في ثناياه كثيراً من الخير لنا ولمجتمعنا العربي الإسلامي في المستقبل القريب والبعيد إن شاء الله، حيث سيتمكن مجتمعنا عن طريق تمسكه بلغته العربية من استعادة هويته الثقافية التي افتقدها لفترة طويلة، وسيتمكن بالتالي من أن يجد له مكانًا بين المجتمعات الأخرى، التي لم تعد تعترف إلا بمنطق القوة.

القدوة اللغوية تعيش بيننا:

يبرز هنا سؤال على قدر كبير من الأهمية وهو : كيف يمكن

تنشئة أبنائنا على التحدث بلغة عربية صحيحة سهلة ؟ إن ذلك يمكن تحقيقه إذا ما توافرت لهؤلاء الأبناء القدوة اللغوية الجيدة التى تملأ عليهم كل حياتهم، والتى لاتفارقهم قيد أنملة، بحيث تعايشهم ويعايشونها وتسد عليهم كل ما من شأنه أن يؤثر بالسلب على سمعهم وألسنتهم، ومن ثَمَّ تصبح تلك القدوة هى المؤثر القوى فى أبنائنا، وفيما ينطقونه ويتفوهون به من كلمات وأسماء وتعبيرات.

ولكى تتمكن تلك القدوة الحسنة من أن تقوم بذلك الدور الحيوى، الذى يتمثل فى تنشئة الأبناء على التحدث بلغة عربية صحيحة، فلا بد لتلك القدوة أن تكون متغلغلة فى كل مكان له تأثير فى لغة الطفل، بمعنى أن تكون تلك القدوة موجودة فى المنزل متمثلة فى الأب والأم، وفى الشارع وفى المدرسة متمثلة فى المعلمين، وفى إعلانات التليفزيون وبرامجه، إننا حينما ندعو إلى ضرورة وجود تلك القدوة اللغوية، فإننا ندعو إلى ضرورة الاقتداء بالسلف الصالح والتأسى بهم فى هذا الصدد.

وما تجدر الإشارة إليه أن هناك كثيراً من المؤشرات تدل على أن القدوة اللغوية الحسنة ما زالت موجودة فى مجتمعنا، وأن شعلتها عادت لتضىء لنا الطريق من جديد، ومن بين تلك المؤشرات القوية: أن جهاز الراديو كان يقدم - ولكنه توقف الآن - برنامجاً ناجحاً تحت عنوان (قل ولا تقل) يهدف إلى توجيه الأفراد - كباراً وصغاراً - إلى استخدام اللغة العربية الصحيحة فى حياتهم، ويجب على المسئولين

أن يعيدوا هذا البرنامج ويخصصوا حلقات منه للأطفال الصغار تدعيمًا للغتهم العربية، وربطًا لهم بثقافتهم الإسلامية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن على المسئولين عن هذا البرنامج أن يقوموا بزيادة عدد الحلقات المقدمة منه، بحيث يتم توزيعها على مدى الأربع والعشرين ساعة؛ حتى يمكن أن يستفيد منها أكبر عدد من المستمعين – كبارًا وصغارًا – وذلك لأن المسئولين عن إعداد تلك الحلقات يُعَدُّون –بحق– قدوة لغوية جيدة، يمكن أن يكون لها عظيم الأثر وخاصة على أبنائنا الصغار.

إن ما ندعو إليه ونرجوه، هو أن نعيش ويعيش أبناؤنا فى مناخ لغوى جيد، والقدوة اللغوية التى ندعو إليها هى تلك القدوة التى تستخدم لغة عربية سهلة، يمكن للصغار والكبار استيعابها واستخدامها فى شتى مناحى الحياة، لاتلك القدوة التى تستخدم الألفاظ والأسماء والتعبيرات الصعبة، التى لم يألفها الناس فى أيامنا هذه؛ وتجدر الإشارة إلى أن الإذاعة تقدم الكثير من البرامج الناجحة التى تستخدم لغة عربية صحيحة وسهلة، بالإضافة إلى ما تُقدِّمه من القيم والأخلاق الإسلاميّة بأسلوب سهل بسيط، مما ييسر على الأطفال استيعاب كل ما يقدم إليهم ، بأسلوب جذاب مؤثر فى الكبار والصغار معًا.

ولكى تصبح القدوة اللغوية الحسنة موجودة فى كل مكان فإننا جميعًا آباء وأمهات ومعلمين ومسئولين عن الإعلام المرئى والمسموع يجب علينا أن نجعل الهدى النبوى الشريف نصب أعيننا، بحيث

يجب علينا أن نجعل الهدى النبوى الشريف نصب أعيننا، بحيث نتأدب بآداب الإسلام، ونؤدب أبناءنا بها، بمعنى أن تصبح الكلمات والألفاظ والتعبيرات المتداولة بيننا وبين أبنائنا مشتقة من آداب ديننا ولغتنا ، ومن ثَمَّ تصبح كل حركات أبنائنا وسكناتهم وما يستخدمونه من كلمات وأسماء وألفاظ وتعبيرات متمشية مع ثقافتنا الإسلامية، أى يصبح أبناؤنا نبت تربة بلدهم ووطنهم، ومن ثَمَّ يعملون فى المستقبل على حماية وطنهم من كل المؤثرات اللغوية والثقافية الضارة، التى أصبحت تملأ الأجواء من حولنا في كل مكان، وتقتحم علينا بلادنا وبيوتنا بدون استئذان، ولا سبيل إلى التصدى لها إلا من خلال تدعيم أبنائنا بالآداب والأخلاق العربية الإسلامية، وتدعيم هويتهم، لأن فى تدعيم هويتهم تدعيمًا لهوية مجتمعنا العربى الإسلامى وثقافته.

لغة الأغانى الجيدة قريبة منا:

وكما يتأثر أبناؤنا بكل شيء من حولهم فإنهم يتأثرون تأثرًا كبيرًا بالأغاني التى تسود المجتمع، فكلما ارتقت لغة الأغانى، ارتقت معها أحاسيس ومشاعر أبنائنا، وارتقت معها بالتالى لغتهم وما ينطقونه من كلمات وأسماء وتعبيرات، ويشير الأستاذ «عباس العقاد» إلى أن أغانى الأمة دليل عليها، حيث يقول: ولا تعرف شيئًا تنطوى عليه خلائق الأمم وعاداتها يخفى على من يستمع إلى أغانيها، وقد نمتحن

هذه الحقيقة بتجربة ميسرة، وهى أن نجمع مائة أغنية من أغانى الغزل والفخر والحداد والفكاهة والمناجاة على اختلاف بواعثها، فإننا سنجد بعد مراجعة هذه المجموعة أننا نستطيع أن نحكم منها على أخلاق الأمة وآدابها ، وما تعمله القوانين والشرائع فيها، وسنجد بعد ذلك مصداق قول أفلاطون : إن هذه الأغانى بمعانيها وألفاظها دليل على تغير جوهرى فى كيان الأمة وكيان الدولة.

ونظرًا لهذه الأهمية الكبيرة للأغانى، باعتبارها من معايير الحكم على سمو الأخلاق فى مجتمع ما، فإنه لابديل إذن أمام القائمين على أمر أغانى الكبار أو الصغار، سواء فى جهاز الراديو أم التليفزيون إلا أن يدقِّقوا عند اختيارهم لكلمات الأغانى، بحيث لايتخيرون إلا ما يُساعد على تهذيب الأخلاق والسلوك ويسمو بالمشاعر، ويغرس القيم النبيلة فى أبنائنا ، إذ إن واقع لغة الأغانى التى تسود المجتمع فى هذه الأيام، سواء أغانى الكبار أم الصغار، قد وصلت إلى مستوى من التردى والإسفاف لا مثيل له، فلقد جاء فى جريدة الأهرام مقال تحت عنوان (أغانينا ودلالتها الاجتماعية) يقول كاتبه: ما الذى جرى حتى تردد الأجيال الشابة أغانى أكتبها سماعًا، مع الاعتذار لأهل الأدب واللغة مثل : (كوز المحبة اتخرم عاوز له بنطة لحام) و(السح الدح امبو) و(إيه الأستوك ده اللى ماشى يتك ده) و(هوبه تيتو مامبو) و(بوم بوم بامترين بولو بولز. بوم بوم بامترين بجى بجى) و(كداب ياخيشة كداب قوى) و (لاهو هندى ولا لاوندى ويقول أفندى عاوز

شيكاليته)، و(هات حته هات حته الهط اهبر لغ لغ)، و(كده كده بالفارهيطة أكلة حلوة خلطبيطة) وغيرها من أغانٍ لامعنى لها، عجزت مقدرات اللغة حتى عن كتابتها، هل أصبحت حياتنا هكذا عبثًا لامعنى لها؟ هل أصبحت لغتنا الجميلة عاجزة عن الوفاء بمفردات معقولة حتى تسود هذه اللوغاريتمات اللفظية؟ أم ترانا أصبحنا لانتكلم العربية، ونتحدث لغة أخرى غريبة علينا .

انتهى مقال جريدة الأهرام، وهو ليس فى حاجة إلى تعليق، غير أن البعض قد يتساءل: ما علاقة هذه الأغانى بأبنائنا الصغار ؟ والإجابة عندى أن أبناءنا الصغار لايقتصر سماعهم على أغانى الأطفال فقط، ولكنهم أيضًا يسمعون أغانى الكبار؛ ومن ثَمَّ فإنهم يكتسبون من خلالها كلمات وألفاظًا غريبة عن لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية، وبالتالى فإن أغانى كهذه ستسهم دون شك فى هبوط مستوى مشاعر أبنائنا الصغار وإحساسهم، وتُفْقِدُهُمْ بالتالى هويتهم العربية الإسلامية.

ومن ثَمَّ فإننى أطالب كل مَنْ له صلة – من قريب أو بعيد – بتأليف وكتابة أغانى الأطفال والكبار، أن يحثهم على أن يفكروا بجدية فى كل كلمة يكتبونها، قبل أن يطرحوها على مسامعنا ومسامع أبنائنا، وأن يشتقوا كلمات أغانيهم من لغتنا العربية السهلة الجميلة؛ حيث إن اللغة العربية لغة غنية بمفرداتها وتراكيبها ومعانيها، بما يكفى لكتابة ملايين الأغانى الجيدة، التى ترقى بذوقنا وذوق أبنائنا

الصغار، وتزيد من ارتباطنا بلغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية .

وبالرغم من أن الصورة تبدو قاتمة فإن الأمل لايزال موجوداً؛ حيث يتمثل ذلك الأمل فى حياة رسول الله ﷺ وصحابته، رضوان الله عليهم، فهاهم صحابة رسول الله ﷺ يتغنون بكلمات جميلة عذبة يوم حفر الخندق قائلين:

والله لولا الله ما اهْتَدَيْنَا ولا تصَدَّقنا ولا صَلَّيْنا
فأَنْزِلَنْ سكينةً علينا وثَبِّتِ الأقدامَ إن لاقَيْنَا
إن الأُلى قد بَغَوْا علينا إذا أرادوا فتنةً أَبَيْنَا

ونراهم أيضًا - رضوان الله عليهم - أثناء بناء المسجد النبوى بالمدينة المنورة يتغنون، بعد أن رأوا رسول الله ﷺ يعمل معهم ويحمل الحجارة على كتفه الشريف، فينشدون قائلين:

لَئنْ قَعَدْنا والنبيُّ يَعْمَلُ لَذَاكَ منا العملُ المُضَلَّلُ

والحياة الإسلامية فى صدر الإسلام مليئة بأمثلة عديدة مما كان يتغنى به المسلمون الأوائل فى جميع نواحى حياتهم، وكيف أنهم يستخدمون الكلمات الرقيقة الراقية فى أغانيهم ، فهاهى امرأة من قريش تهدهد طفلها وتغنى له عسى أن يهدأ وينام، مستخدمة كلمات عذبة طيبة، فهى تقول : أحبك والرحمن، حبَّ قريشٍ لعثمان، ولعلنا نستطيع أن نستنبط من هذه الكلمات، كم كان أهل قريش يحبون «عثمان بن عفان» -رضى الله عنه-، ويتغنون لأطفالهم

باسمه، فهل لنا جميعًا أن نعود إلى لغتنا العربية وإلى تراثنا االشعرى خاصة، نقتبس منه كلمات أغانى الصغار و الكبار، لكى نتمكن من الإسهام فى ترقيق أحاسيس أبنائنا ومشاعرهم، وبالتالى نتمكن من الإسهام فى ربطهم بلغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية

نماذج جيدة من لغة المسلسلات والقصص :

وكما أن لغة الأغانى تؤثر فى أبنائنا وفيما يحصلونه من ثروة لغوية، سلبًا وإيجابًا، فإن لغة المسلسلات والقصص تؤثر -أيضًا- تأثيرًا بالغًا فيما يستخدمه هؤلاء الأبناء من كلمات وألفاظ وتعبيرات؛ وذلك لأن المسلسلات والقصص تعد مادة مشوقة لهم؛ لذا فإنهم يتهافتون على سماعها، ومن ثَمَّ تصبح أكثر شيوعًا وانتشارًا، وبالتالى يتأثر بها عدد كبير من الأطفال، بل والكبار أيضًا .

وبنظرة فاحصة إلى نوعية المسلسلات والقصص التى يقدمها التليفزيون إلى الأطفال نجد أن الصورة تبدو مبشرة فى كثير من جوانبها، حيث إن التليفزيون العربى يقدم كثيرًا من أفلام الكارتون الناطقة باللغة العربية، والتى تروى قصصًا جميلة مشوقة، تجذب الأطفال وتثير اهتماماتهم. ومن أهم مزايا هذه الأفلام أنها تستخدم لغة عربية بسيطة فى ألفاظها وكلماتها وتعبيراتها، بحيث يصبح الأطفال قادرين على استيعابها وتمثلها ، ومن ثَمَّ تصبح لديهم ثروة لغوية كبيرة وجيدة من جرَّاء استماعهم ومشاهدتهم لتلك الأفلام.

وإذا كان التليفزيون يقدم إلى الأطفال أفلام كارتون جيدة، ناطقة باللغة العربية الصحيحة، فإن مثل تلك الأفلام لازالت قليلة العدد إذا ما قورنت بالأفلام الناطقة بالعامية أو الناطقة باللغات الأجنبية، بمعنى أننا فى حاجة ماسة إلى تقديم المزيد من تلك الأفلام الناطقة باللغة العربية الصحيحة سواء للصغار أوالكبار، بحيث تصبح هذه النوعية من الأفلام هى السائدة على الشاشة الصغيرة، أو من خلال الراديو، على أن يتم التقليل من الأفلام الناطقة بالعامية أو باللغات الأجنبية شيئًا فشيئًا، حتى يتم التخلص منها نهائيا؛ ومن ثَمَّ يصبح التليفزيون والراديو من أقوى العوامل التى تدعم عملية اكتساب أبنائنا لمفردات وكلمات وتعبيرات عربية، ومن ثَمَّ فإنهما يسهمان فى جعل هؤلاء الأبناء أكثر ارتباطًا بمجتمعهم العربى وبثقافتهم الإسلامية، بحيث تصبح لهم هويتهم المستقلة التى تميزهم عن غيرهم.

أخيراً فإننى أطلب من القائمين على أمر المسلسلات والقصص وأفلام الكارتون بالتليفزيون والراديو، أن يتحروا الدقة فى اختيارهم لتلك الأعمال، فلا يختارون إلا ما كان مشتقا من لغتنا العربية ونابعًا من ثقافتنا الإسلامية، كما أننى أطلب إليهم أن يعودوا إلى هدى رسول الله ﷺ وسنته، ففيها العلاج الناجح لكل مشكلاتنا اللغوية وغيرها، فعليهم أن يعيدوا قراءة سنة الرسول ﷺ لكى يتعرفوا أسلوبه فى معاملة الأطفال وتربيتهم وتأديبهم، وكيف كان يحادثهم بلغة عربية بسيطة جميلة حتى وهو يمازحهم ويلاعبهم، فهاهو رسول

الله ﷺ يلاعب أحد الأطفال الصغار ويقول له : « ياأبا عمير .. ماذا فعل النُّغَير » [رواه البخارى] .

فليكن لنا جميعًا فى رسول الله ﷺ وصحابته الأجلاء أسوة حسنة؛ لكى نتمكن من تنشئة أبنائنا من خلال سلوك هذه القدوة الطيبة وما استخدموه من ألفاظ وكلمات وتعبيرات مع أبنائهم، ومن ثَمَّ ينشأ أبناؤنا وقد أصبحوا أكثر ارتباطًا بلغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية .



الفهرس

الموضوع	الصفحة

أبناؤنا ... سلسلة سفير التربوية

سلسلة تهدف إلى تعريف الآباء والمربين بالمشاكل التي تواجه الأطفال، وكيفية التغلب عليها من الناحية العلمية والتطبيقية، وذلك بطرح القضايا والموضوعات التي تهم كل مرب ومناقشتها بموضوعية وأمانة في ضوء المنهج الإسلامي دون افتعال.

كما تقوم السلسلة بعرض نماذج لمشكلات حقيقية من واقع الحياة، ومعالجتها في إطار ما ورد في النظريات التربوية والنفسية والاجتماعية بما يعين المربى المسلم على تنشئة أجيال مسلمة.





سفير

١٥ شارع أحمد عرابي - المهندسين - ص . ب: ٤٢٥ الدقى - القاهرة ت: ٣٤٤٧١٧٣-٠٠٢٠٢ فاكس: ٣٠٣٧١٤٠-٠٠٢٠٢

15 Ahmed Orabi St. Mohandeseen - Cairo, Egypt Tel: 00202- 3447173 - 3477732 - Fax :00202- 3037140

Web Site: www.safeer.com.eg E-Mail:Safeer@link.com.eg